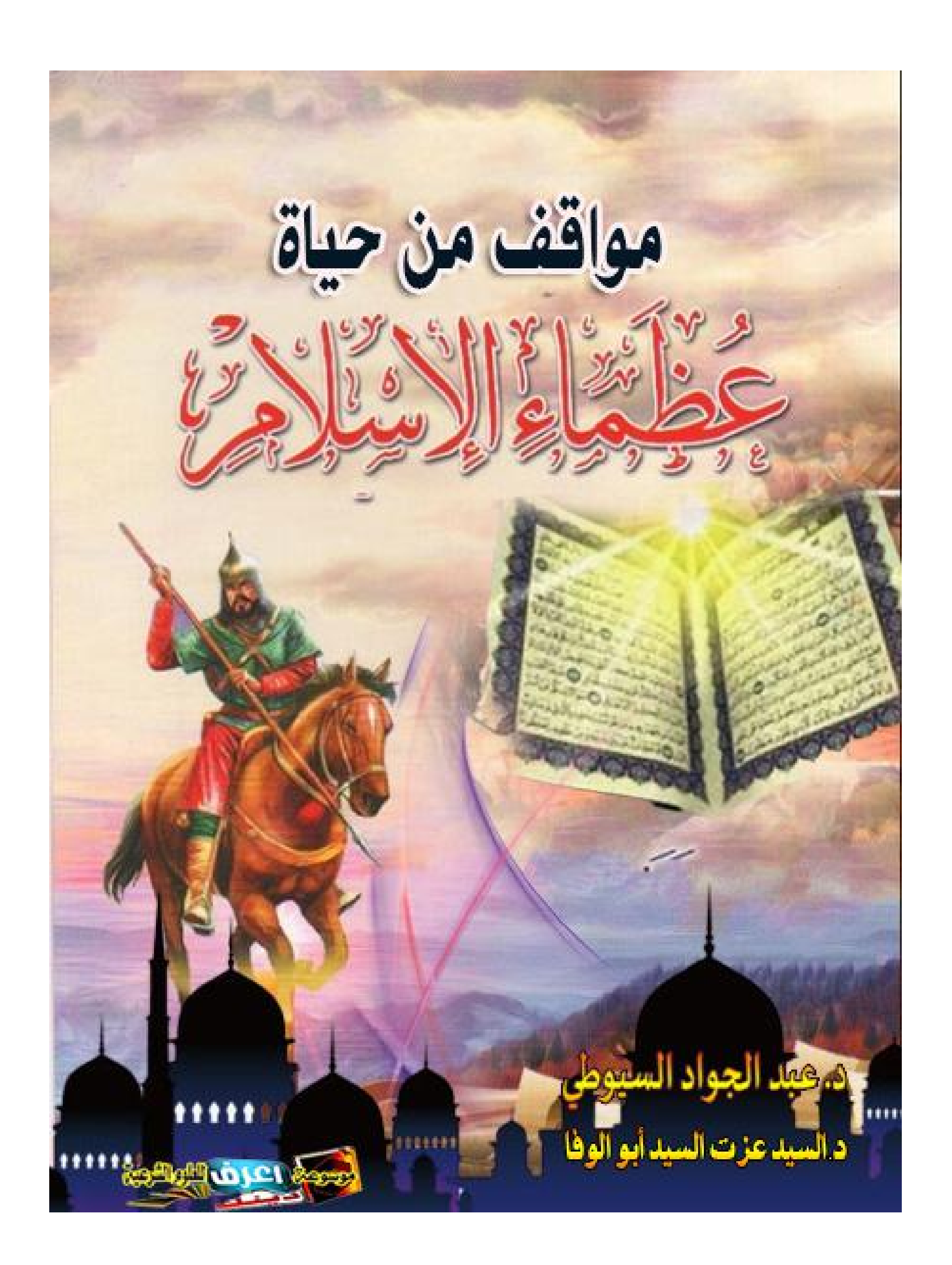

مواقف من حياة
عظماء الإسلام
د. عبد الجواد السيوطي
د. السيد عزت السيد أبو الوفا
اعرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي الآمين وبعد..

يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية أن تنشر للدكتور الشيخ عبد الجواد عبد المولى السيوطي هذه الرسالة وغيرها مما اتحفنا بها فضيلته ليستفيد منها المسلمين،وقامت الموسوعة بتصميم غلافة تليق بها ونشرها علي صفحات الموسوعة المختلفة .

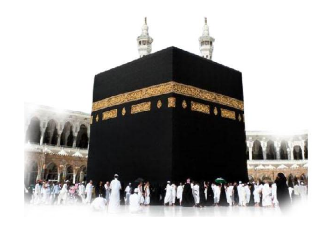
وسوف تنشر الموسوعة كل ما يتحفنا به فضيلته تباعًا ونسأل الله القبول والإخلاص أنه ولي ذلك والقادر عليه.

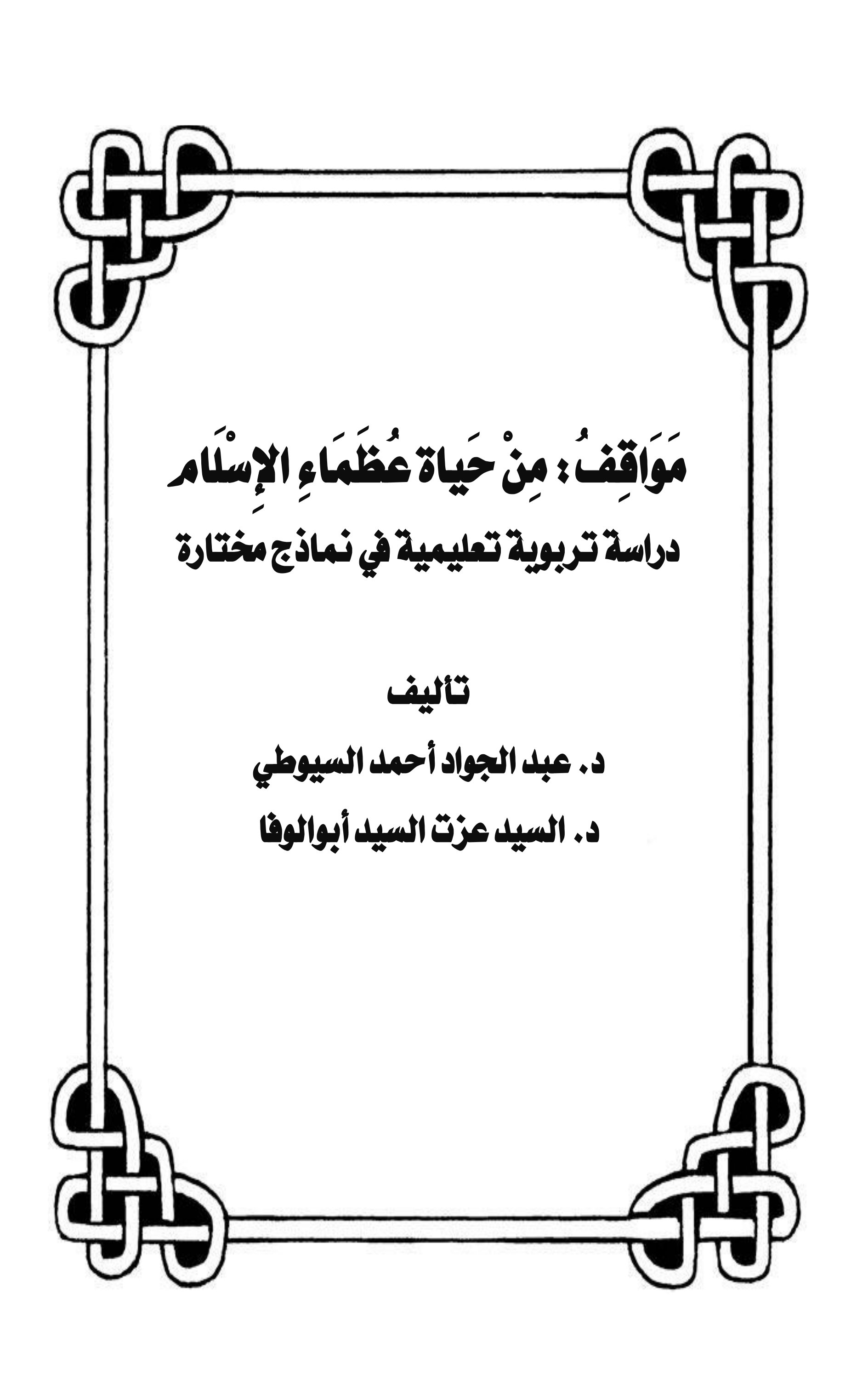
والشيخ-حفظه الله- من مواليد قرية نجع سويلم، ديروط، أسيوط. عام ١٩٧٥م وحاصل على دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بتقدير ممتاز، ومؤسس قسم القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بقيرغيزيا. وإمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية .

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية







مَوَاقِفُ: مِنْ حَيَاةِ عُظَمَاءِ الإِسْلَام

دراسة تربوية تعليمية في نماذج مختارة

تأليف

د. عبد الجواد أحمد السيوطي

د. السيد عزت السيد أبوالوفا

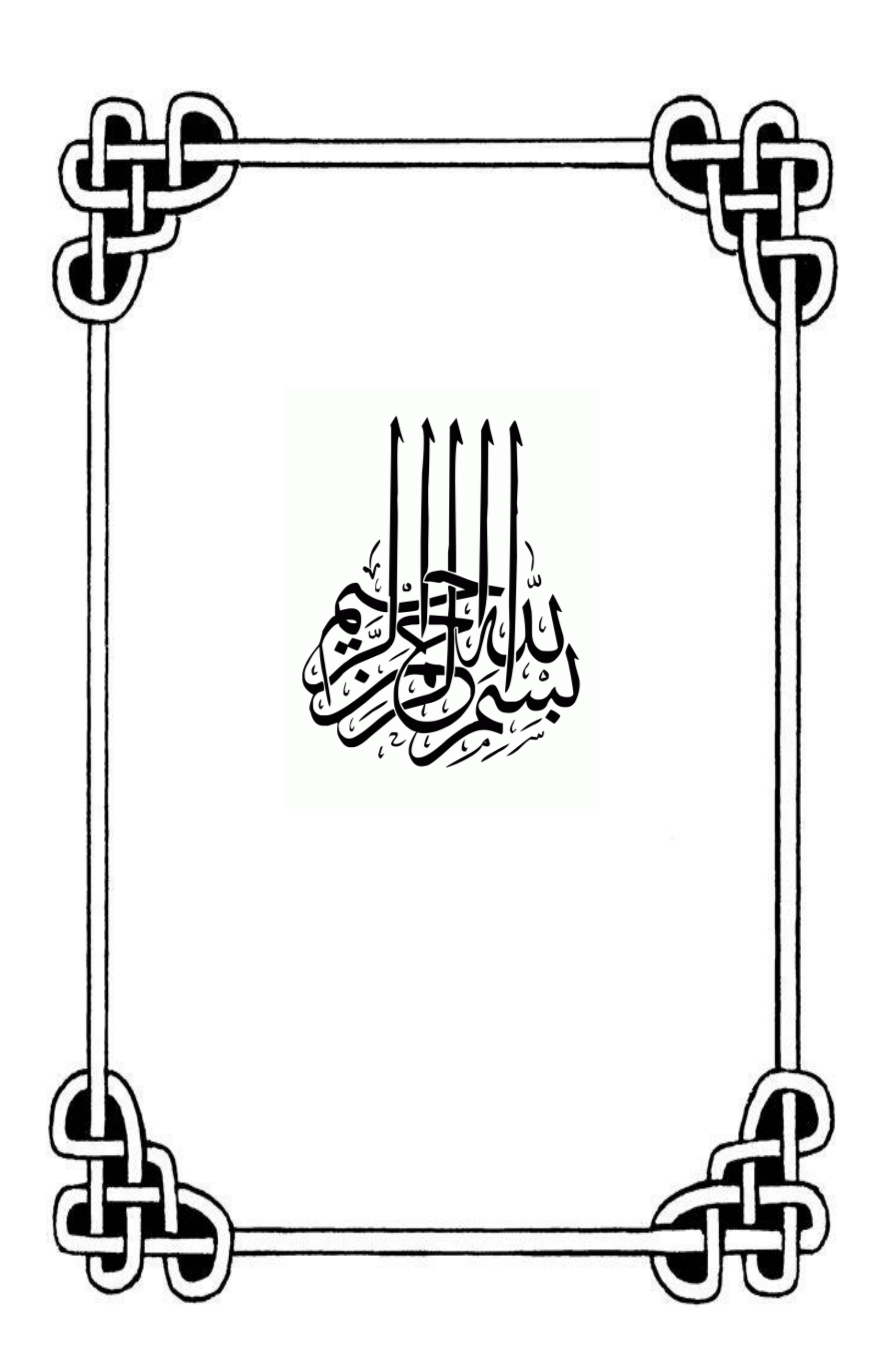
من منشورات الموسوعة للمؤلف

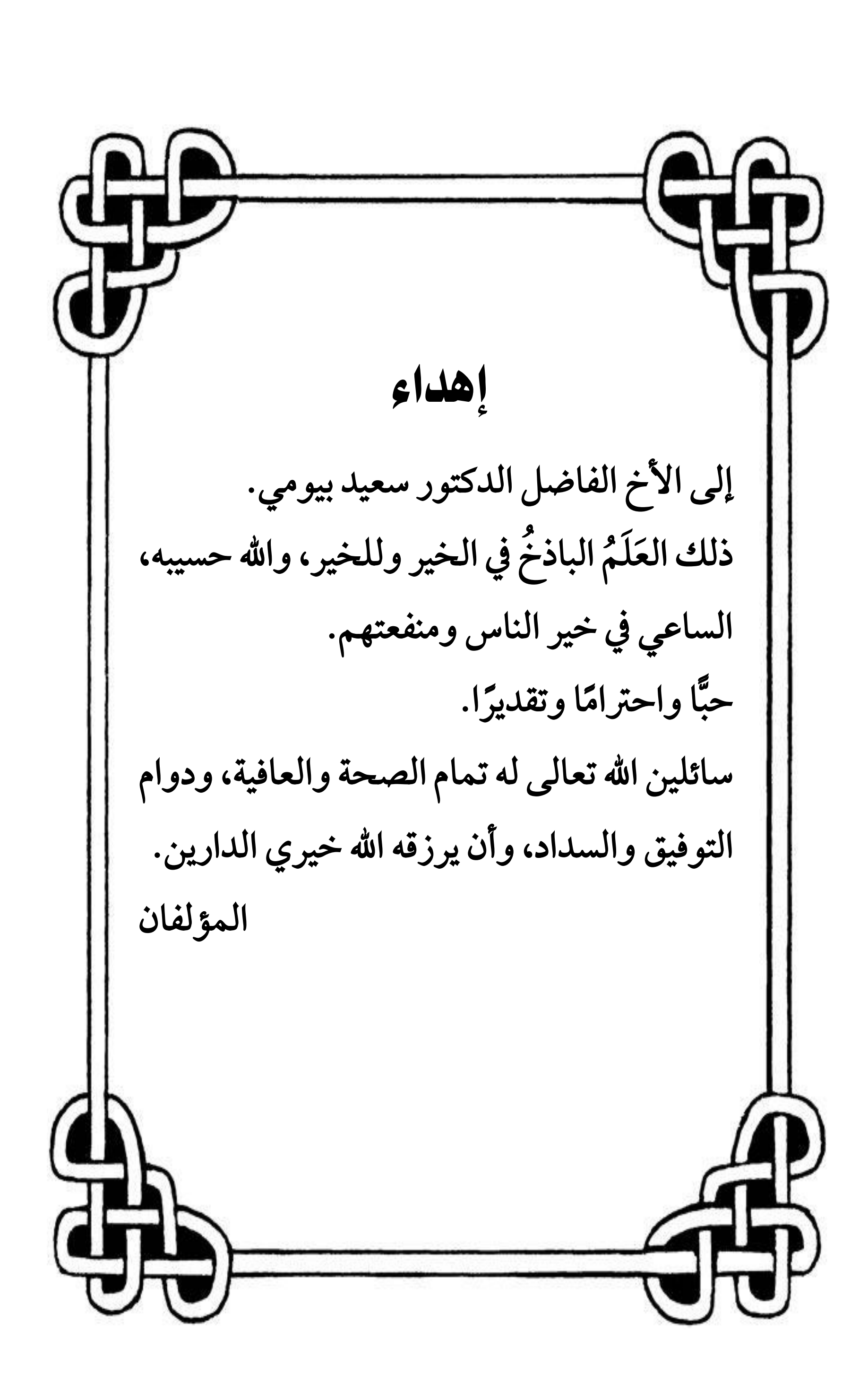






مع تحيات


بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى الأخ الفاضل الدكتور سعيد بيومي.

ذلك العَلَمُ الباذخُ في الخير وللخير، والله حسيبه، الساعي في خير الناس ومنفعتهم.

حبًّا واحترامًا وتقديرًا.

سائلين الله تعالى له تمام الصحة والعافية، ودوام التوفيق والسداد، وأن يرزقه الله خيري الدارين.

المؤلفان

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فهذا كتاب " **مَوَاقِفُ مِنْ حَياة عُظَمَاءِ الإِسْلَام، دراسة تربوية تعليمية في نماذج مختارة**)، وهو كتاب تعليمي تربوي، يهدف لتقريب حيوات عدد من عظماء الإسلام غير المشهورين معظمهم، ومدارسة سيرتهم وتقريب تضحياتهم ومواقفهم المشرفة تجاه هذا الدين، ولصالح هذه الأمة المباركة للطلاب الأعاجم خاصة، أولئك أعلام الذين لم يسمع بهم- غالبًا- مثل هؤلاء الطلاب ولم يعرفوا عنهم شيئا.

ولا يخفى على كل عاقل غيور محبّ لدينه وأمّته مدى أهمية التربية الصحيحة وأثرها على الأفراد والمجتمعات، فهي الأساس الأمثل والطريق الأقوم في سبيل النهوض بأمة الإسلام، واستعادة مجدها الموءود، وأنها السراج المنير في خضم هذه الأمواج المتلاطمة والعواصف الشديدة التي تأخذ الأمة يمنـة ويسْرَة، بإغراق شبابها وإفسادهم وإبعادهم عن الطريق المستقيم إما بالشهوات أو بالشُّبهات، وهم أهم ثروتها وسرّ نهضتها، وأعزّ ما تملك. والتربية الحقيقية الجادة المثمرة تعتمد فيما نحسب على الوعي بالقيم الإسلامية الصحيحة وفهمها وهضمها واستيعابها، ثم تطبيقها تطبيقًا سلوكيًّا وحياتيًّا سليمًا، ثم متابعتها باستمرار بالتقييم والتقويم عند المتلقين، ومن ثم تكرارها حتى تقرَّ فتصبح جبلّة[1] وخُلُقًا ودَيْدَانًا[2] مألوفا عندهم، راسخًا في تعاملاتهم.

---

1 - الجِبِلّة: الخلْقة. ج جبلّات.

2 - الديدان= الديدن= العادة.

لهذا حرصنا في هذا الكتاب أن تكون معالجة الكتاب تربويًّا، وذلك عن طريق سرد بعض القصص التاريخية لطائفة من سير عظماء هذه الأمة المجيدة، والتركيز على شيء من مواقفها الخالدة، تلك التي نفعت الأمة جميعا، وأناسها، وخدمت رسالتها الخالدة، ومثل هؤلاء الأعلام الذين يصدق فيهم وعليهم أنهم عاشوا في الظِّل، فلم يشتهروا كما يستحقون، ولم يكونوا تحت الأضواء شأن أغيارهم من العظماء الذين عاشوا ملء السمع والبصر[3]، وماتوا وما يزالون ملء السمع والبحث والنّظر؛ وذلك لِما للقصة من التأثير الكبير على النفس والروح، وحُسن الواقع التربوي على القلوب والأفئدة، وبخاصة عند الفئة المستهدفة – الصغار والشباب –عمادا هذه الأمة، وسرّا قوتها اللذين استهدفهما الأعداء من الداخل والخارج؛ حتى يقعوا فريسة لهم عن طريق الشبهات والشهوات ومن ثم يسهُل عليهم بعد السيطرة على العقول احتلال الأرض والعرض، واستلاب الشخصية[4] وتذويب الهوية[5] في أَجْبَابِهِم السحيقة.

أما لماذا آثرنا الحديث في هذا الكتاب عن هؤلاء العظماء من غير الصحابة الكرام؟ حيث لم نأخذ من الصحابة الأبرار إلا واحداً فقط (ليس مشهوراً جداً كالخلفاء الأربعة مثلاً) وله أثرٌ كبير في دخول الإسلام في بلاده، وكلهم عظماء في نفوسنا وقلوبنا، ونحسبهم أخيارًا جميعًا عند الله تعالى وعند رسوله صلوات الله وسلامه عليه؟ فذلك لأن شخصيات الصحابة الكرام

---

3 – يقال: هو" مِلْءُ السّمْع والبصرِ: أيْ هو يمْلأ السّمْع بِذِكْرِه، ويملأ البصر بِمهابتهِ.
4 – يقال: اِسْتلبَتْهُ أفْكارُ الغَرْب: خضع لِتأْثِيرِها وكان عاجِزًا عنِ السّيْطرةِ على نفْسِهِ.
5 –هُوِيّةُ الإِنْسانِ: حقِيقتُهُ الْمُطْلقةُ وصِفاتُهُ الْجوْهرِيّةُ. والمقصود بـ "تذويب الهوية": تضييعها وإصابة صاحبها بالشك في قدراته، وتبذير طاقاته فيما لا يفيد، وإشعاره بالعجز عن تغيير واقعه للأفضل، فيركن إلى الكسل والإحباط والخمول وبالضرورة عدم الإنجاز.

المشهورين رضي الله عنهم أجمعين تُنُوولت[6] بالبحث والدراسة وعرض التراجمات بدرجة أكبر وأعمق وأكثر من غيرهم، حتى صارت أسماؤهم كالأعلام الرواسي مشهورة وثابتة، ومواقفهم المشْرقة المشرّفة ذائعة ومعروفة، بيد أن الكثير من المسلمين، أو قل عامَّتهم، لا يعرفون العديد من الشخصيات الإسلامية التي غيرت- مع أولئك المشهورين- تاريخ الإسلام نحو الأفضل الإسلام، وساهمت في تحقيق عزة الشعوب والأمم الإسلامية في شتى أقطاره.

ووفاق ذلك اخترنا طائفة من هذه الشخصيات العملاقة التي لم يُكتب لأسمائها أن تشتهر وتذيع سِيَرُها على ألسنة الناس بما تستحق، على الرَّغم من أدوارهم غير المنكورة التي أنارت العالم سواء عن طريق ما أضافوه من الفقه الإسلامي والعلم الذي أنار الدنيا، أو ما بذلوه من ألوان الجهاد على تنوعها، أو بما صدحوه[7] من كلمة الحق في وجه الطواغيت والجبابرة، أو بما أنفقوه من المال والنفس في سبيل الله ورسوله، أو بما جاهدوه بالسيف، أو بما قدموه وهم في مناصبهم الرفيعة التي تقلَّدوها فخدموا بها الإسلام أيّما خدمة، وغير ذلك ممن سنراهم في هذه الصفحات التي نحاول أن نبين شيئًا من تاريخ هؤلاء وترجماتهم، لافتين انتباه القارئ الكريم فيه لبعض الطرق العملية والتطبيقية؛ للإفادة من أمثال هؤلاء العظماء في خدمة دينهم وبلدهم وأمتهم، بغية أن نرتقي نحن كأفراد ومجموعات وشعوب، حتى نصل إلى ما يريده الله ورسوله منّا جميعًا، فنكون أمّة ناهضة متقدمة في كل المجالات والميادين على يد أبنائها، وليست أمة متأخِّرة بسببهم، أمة متبوعة من الجميع لا تابعة مُنساقة، أمَّة نُقلَّدُ لا تُقلِّدُ؛ لأنها أحقّ بذلك وأجدر؛ لما لها

---

6 – تـنُوولَتْ: تناولها الناسُ قراءة ودراسة وتعليمًا وتعلُّما.

7 – صدح بالحق: أعْلَى صوته به.

من مقومات حباها الله بها، ومزايا ليست لغيرها، وفَرَادات[8] لم تكن إلا لها، ذكرها الله سبحانه في قرآنه الكريم فقال جل في علاه: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" (آل عمران- 110). وهذا لا يتحقق إلا على يد أبنائها الصالحين المصلحين، وكم عندنا في تاريخنا الإسلاميّ من العظماء الكثير والكثير جدًّا وإن جهلهم كثير من طلاب العلم فضلًا عن غيرهم، وهذا ظلم كبير لهم. على أننا بنينا الكتاب وفق منهجية ثابتة تبدأ بالحديث عن حياة كل شخصية من هذه الشخصيات وأبرز مواقفها، مبتدئين بتعريف لها مبسّط إلى القارئ الكريم، مع محاولة إسقاط هذه المواقف على واقعنا وحياتنا وكيفية الاستفادة منها في واقعنا. وختمنا كل موضوع بطائفة من الأسئلة التفاعلية التي تهدف لغرس القيم، واستنهاض الهمم، والحث على الفهم والمناقشة والتحليل وإبداء الرأي، واستخلاص الدروس والعبر.

وبعد، فلسنا ندّعي أننا أتينا في هذا الكتاب بما لم يأته الأوائل**!!** كـلَّا كـلَّا**!!** إنما هي محضُ ومضات تربوية تعليمية ناجزة- نرجو أن يُكتب لها القبول عند الله أوّلًا، وأن ينتفع بها صغارنا وناشئتنا من أبناء جلدتنا ثانيا؛ وأن تكون نبراسًا[9] يُضيء لنا ولهم ظُلُمات كثيرة، ويكشف عن معالم شامخة في تاريخنا العظيم تهدينا وإياهم إلى سبُل الرَّشاد.

والحمد لله أولًا وآخرًا..

---

8 - الفَرادة: ما يتفرد به الشخص عن الآخرين.

9 - النبراس: المصباح. ج: نباريس.

1- ضِمَاد بن ثَعْلَبَة الأزديّ وأجورٌ لا تنقطع!

التعريف به

هو ضِمَاد بن ثعلبة الأزدي، صحابي من أزد شنوءة[10] من أهل اليمن، كان صديق النبي ﷺ في الجاهلية، وكان له علم بالطّبّ والرُّقى[11]، وكان رجلا صاحب قلب أبيض ناصع طاهرًا نقيًّا طالبًا للعلم، كان حبُّه للخير سببًا في دخوله الإسلام، بل وحاز به شرف إدخال الإسلام لليمن للمرة الأولى على يديه. وأهل اليمن مباركون يتغلغل[12] حبهم في قلب من يراهم ويخالطهم[13]، وبِحُبِّهم يتقربُ المرء إلى الله ورسوله، فهم من أطيب الناس قلبًا وخُلقًا وأكثرهم تواضعًا وأدبًا، كيف لا وهذه شهادة من الرسول ﷺ لهم، حيث قال ﷺ في الحديث عن أبي هريرة" (أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبًا)."رواه البخاري".

10 – أزد شنوءة أو شنوّة: اسم لمجموعة من القبائل العربية تنتمي إلى الأزد، وشنوءة لقب يطلق على الحارث أو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد أو على نصر بن الأزد وبنوه، وهم من أكبر بطون الأزد، ومن قبائلهم الشهيرة: دوس، وغامد، وزهران، وثمالة، ولهب وكانت منازلها في مأرب جنوب جزيرة العرب.

11 – الرُّقْيَةُ: العُوذَة التي يُرْقَى بها المريض ونحوُه والجمع: رُقًى.

12 – تغلغل: انتشر وتوغل واخترق.

13 – يخالط الناس: يعيش معهم وبينهم.

قصة إسلامه رضي الله عنه

روى ابن سعد عن ابن عباس، قال: قدم رجل من أزد شنوءة، يقال له (ضِمَاد) مكة معتمرًا، فسمع كفار قريش يقولون: محمد مجنون!، فقال: لو أتيت هذا الرجل فداويتُه. فجاءه فقال له: يا محمد إني أداوي من الريح، فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك. فتشهَّد رسول الله ﷺ، وحمد الله وتكلم بكلمات فأعجَب ذلك ضِمَادًا، فقال أَعِدْهَا عليَّ، فأعادها عليه، فقال: لم أسمع مثل هذا الكلام قط، لقد سمعت كلام الكهنة[14] والسحرة، والشعراء فما سمعت مثل هذا الكلام قط، لقد بلغ قاموس البحر يعني قعره - وهذه كلمة يقصد بها غاية الثناء والمدح - فأسلم وشهد شهادة الحق، وبايعه على نفسه وقومه. وسبحان الله، فقد كان ضِمَاد الأزديّ من أسرع الناس إسلامًا، بعد الصدّيق[15] وخديجة[16] وعليّ[17] وزيد بن حارثة[18] الذين أسلموا منذ اليوم الأول، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

14 - رَجُلٌ كَاهِنٌ: مَنْ يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأَسْرَارِ وَأَحْوَالَ الغَيْبِ. ج: كهان وكهنة.

15 - أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَبدُ الله بنُ أَبي قُحَافةَ التَّيمي القُرَشيّ هو أولُ الخُلفاء الراشدين، وأحد العشرة المُبشرين بالجنَّة، وهو وزيرُ الرسول وصاحبهُ، ورفيقهُ عند هجرته إلى المدينة المنورة.

16 - خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِد القُرَشِيّة؛ أم المؤمنين وأولى زوجات الرسول وأم كل أولاده ما عدا ابنه إبراهيم.

17 - أَبُو الحَسَنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ الهَاشِمِي القُرَشِيُّ ابن عم الرسول محمد وصهره، من آل بيته، وأحد أصحابه، هو رابع الخلفاء الراشدين.

18 - زيد بن حارثة صحابي وقائد عسكري مسلم، كان مولى للنبي محمد، وكان النبي محمد قد تبناه قبل بعثته، وهو أول الموالي إسلامًا، ومن السابقين الأولين للإسلام، والوحيد من بين أصحاب النبي محمد الذي ذُكر اسمه في القرآن.

قمة الأدب مع رجاحة العقل

ومن هذا الكلام من ضِمَاد **ظهر أدبه** مع الله في علمه بالله، وما ينبغي إثباته لله – عز وجل– حيث ذكر لنفسه أنه يُرقى أي يعالج، وأثبت لله – سبحانه – أنه هو الشافي، حيث قال: "لعل الله يشفيك على يديّ"، ومن بالغ أدبه أنه علق الشفاء بمشيئة الله، فمع الأخذ بأسباب الشفاء، يبقى الأمر لله يشفي من يشاء، فقال ضِمَاد: "وإن الله يشفي على يديّ من شـاء"، **ولنلاحظ** أن هذا الأدب مع الله من قِبَل رجل لم يُسْلِم بعد!

أما أدبه مع رسول الله ﷺ فإنه لم يصفه بالمرض مباشرة، ولم يُضف إليه أي كلمة مما اتهمه بها سفهاء مكة، من الجنون والشعر والكهانة وغيرها، لكن لأدبه الجمّ[19] مع كفره قال: "يا محمد، إني أرقي من هذه الريح"، فلم ينطق بلفظ الجنون، مع أنه اللفظ الذي سمعه من سفهاء مكة، فلم يُعِدْ على مسمعه ﷺ ما قالوه حتى لا يؤذيَه، كما أن من أدبه أنه قال آخر مقالته للنبيﷺ: "فهل لك" بأسلوب عرض، لا بأسلوب أمر أو استهزاء!

وأما أمارات رجاحة عقله رضي الله عنه فظهرت حين أنه قام بمقارنة بين كلام النبي ﷺ وبين كلام كفار مكة الذي سمعه منهم في وقت قصير، ومن ثم بتوفيق الله له وعقله الراجح[20] تيقن أنه رسول مرسلٌ من عند الله. فسبحان الله ما أعظم الإسلام لمن وَفَّقَهُ الله إليه، كله بركة في الدنيا والآخرة لمن أسلم بل ولقومه وبلده كما حدث مع ضماد ومع قومه من بعد.

الرفق يكون سببا في الخير.

---

19 – الجم: الشديد.

20 – الراجح: الرزين المتزن.

لقد كان عرضُ ضِمَادٍ على رسول الله ﷺ أن يعالجه مما به من جنون أو سحر- كما يتهمه الكفار -، في حقيقته عرضًا مثيرًا للغضب وموجبًا للرد الشديد عليه، لكن حِلمَ[21] النبي ﷺ ورفقه بالناس جعله يستقبل ذلك بكل صبر[22] وحلم،لأنه يطمع[23] في إسلامه، فقد كان - صلى الله عليه وسلم- كعادته مع الجميع لا يغضب من الإساءات، ولا تستفزه الجهالات من الجاهلين إلا اذا انتُهكت حُرمات الله، لذا نجد أنه قد اتسع حلمه حتى تجاوز الرد عليه بالعدل إلى الفضل والحلم مع من أساء إليه وجهل عليه فتحقق ما له ما أراد، فقد أسلم ضِمَادٌ الأزدي وحَسُن إسلامه بل وصار داعية للإسلام، فكان هو أول من أدخل الإسلام لبلاد اليمن.

وفي الحقيقة لأن "كلمة أول من أدخل الإسلام اليمن" ليست سهلة، ولا بسيطة، ولا هي ذات أجر قليل، كلا كلا، بل هو بهذا أول مسلم كان سببا في نشر الإسلام في اليمن، فانظر كم له من الأجور الكثيرة التي لا يتخيلها أحد، بل ولا تخطر على قلب إنسان، فهذا الشعب الذي مدحه الرسول كما في الحديث المتفق عليه بقوله: (أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ) وفي رواية لمسلم: (جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْفِقْهُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ) كل هذا كان نتاج عمل ضِمَاد الأزديّ كأول رجل أسلم من أهل اليمن، وغيره من المسلمين الذين تحركوا في اليمن.

---

21 – الحِلْمُ: الأَنَاةُ وضبطُ النَّفْس.

22 – الصبر: التجلُّد والاحتمال.

23 – طَمِعَ فِي شيء: رَغِبَ فِي الاسْتِحْوَاذِ عَلَيْهِ.

وِقْـــفَات مع الداعية وأهل الدعوة!

أما **وِقْفَتُنا الأولى مع كل داعية** إلى الله فهي التنويه[24] إلى **ضرورة أن يتحلى الداعيةُ** بصفات كثيرة، وأهمها في طريق دعوته صفات: الحلم والأناة[25] والرفق[26] بالمدعوّين والصبر عليهم؛ فإن هذا قد يكون سببًا في دخوله في الإسلام إن كان غير مسلم، ولعل العاصي يحتاج لهذه الصفات أكثر، فقد تكون سببًا في حبه للداعي ومن ثم حبه للطاعة وبُغضه للمعصية والبعد عنها (فالرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نُزع من شيء إلا شانه) كما صح ذلك عن النبي ﷺ. ولعلك- أيها الداعية الكريم- بسبب هداية الله لهذا المدعو أو ذاك على يديك يكون لك من الثواب وفي ميزان حسناتك أنت ما لا تتخيله، ولا يخطر على قلبك؛ لأنك كنت سببا في هدايته، وانظر لضِمَاد الأزدي رضي الله عنه كأنموذج حيّ كان أول داعية للإسلام في بلاد اليمن فكم له من الأجور؟!

وأما الوقفة الثانية فضرورة التثبت[27] مما ينتشر من أخبار على ألسنة الناس؛ فإننا نجد أن الكثير من الناس يُصَدِّقُون الإشاعات وكل ما يُقال لهم عن الآخرين بدون تثبت أو تبيّن من الكلام أو من قائله(!) وهذا ما يستغله أصحاب القلوب المريضة والمغرضون استغلالًا سيئًا، وكما رأينا فإن ضِمَادا أول ما دخل مكة مباشرة تلقَوه كفارها وأخذوا يقولون له انتبه إن هنا رجلًا اسمه محمد وهو مجنون فلا تسمع له، لكن الرجل لعقلانيته، وسماحة نفسه، وعلمه، فلم يسارع بالتصديق مما خِيض[28] فيه في عرض "محمد رضي الله عنه"؛ إنما

---

24 – التنويه: الإشارة والتأكيد.

25 – هو ذُو أَنَاةٍ وَرِفْقٍ: ذو وَقارٍ وَحِلْمٍ، حَليمٌ.

26 – الرفق: لين الجانب وحسن الصنيع.

27 –التثبت: التأكُّد والاستيثاق والتحقق.

28 – خَاضَ فِي الحَدِيثِ: اِنْدَفَعَ فِيهِ، أَسْرَعَ، أَفَاضَ. خيض: مبني للمجهول.

أراد أن يتثبت مما يُقال، فإن كان الرجل مريضا حقًا فليذهب إليه ليعالجه وهذا من علامات حبه للخير وحرصه على ما ينفع الناس، وإن لم يكن الكلام صحيحًا فلابد أن يعرف لماذا يقولون هذا الكلام؟! وكان لسعي الرجل للتثبت من الأمر أثره العظيم في مقابلته للنبي وإسلامه على يديه، ومن بعدُ كان إسلام بلده على يديه وبسببه، فَطُوبَى له ذلك الأجر العظيم.

وتأتي الوِقْفَةُ الثالثة للداعية في نظرته إلى ما يُعرف بالدعاية المضادة[29] للإسلام في بلاد العالم قاطبة، وفي زماننا الآن؛ حيث يُوجبُ علينا جميعًا الجد والاجتهاد في التعريف بالإسلام على الحقيقة، فالناس يحتاجون لأن يعرفوه من مصادره الأصيلة الحقّة، أكثر من أي وقت مضى بسبب الإشاعات الكاذبة[30] عنه والصور المتهرئة[31] التي يعرضها عنه أصحاب الأغراض الدنيئة، والأنفس المريضة الكاذبة.

وأما **الوِقْفَةُ** الرابعة فهي مما يتعلَّق بذلك أيضًا ونعني بها **ضرورة أن يهتم الدعاةُ ببيان قضية الإسلام الأساسية، ولا ينجرّوا وراء الردود والمعارك الجانبية** التي تضيع الأوقات والجهود وتبذر الطاقات وتُنهي الأعمار بلا فائدة، ويبتعدوا عن المهاترات[32] وشخصنة الدعوة، وهذا هو الهدف للأعداء أن يبتعد الدعاة والعلماء عن القضية الأساسية. ولعل هذا ما نتعلمه من الرد النبوي الشريف، لما قال له ضِمَاد إني أرقي من الرِّيح، فهل لك؟ فلم يضيع الوقت في الردود الجانبية ويقول له: **كيف تقول ذلك يا رجل، أنا لست مجنونًا، بل هم المجانين وهم الكفار... إلخ.** فلا شك أن مثل هذا الرد ليس

---

29 – عَمَلٌ مُضَادٌّ: مُخَالِفٌ، نَقِيضٌ، مُعَاكِسٌ.

30 – الإشاعات الكاذبة: الكلام لا أصل له ولا صحة ولا مصداقية.

31 – المهترئة: الممزقة.

32 – مُهَاتَرَةُ: القول الذي ينقُض بعْضُهُ بعضًا. ج: مهاترات.

إلا مهاترات فكرية جانبية، حاشا أن يقع فيها رسول الله ﷺ، بل دخل مباشرة في بيان قضيته الأساسية بكل هدوء، فقال: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه.." حتى استحوذ على عقل ضِمَاد الأزدي وفكره، ومن ثم أقنعه بفكرته (الإسلام) حتى دخل فيه وكان داعية الإسلام في قومه.

وَنَخْتِمُ وقفاتنا مع الدعاة هنا بما يجب عليهم أن يستغلوه من أي فرص تتاح لهم حتى يُبيِّنُوا دعوتهم للناس بالحسنى والموعظة الحسنة، ولا يكتفوا بالعارض من الفرص أو فضول الأوقات أو المواقف مع الناس وبينهم، بل يكون همّهم نشر دعوتهم وإيصالها لأكبر عدد ممكن في كل حين متى استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، مقتدين في ذلك بالرسول ﷺ مع سيدنا ضِمَادٍ إذ لم يكتف النبي ﷺ بإسلام ضِمَاد فقط، بل قال له "وعلى قومك"!

ألا ما أحرانا – الآن كدعاة إلى الله– وما أحوج الناس لأن نفعل معهم مثل ما فعل ﷺ مع ضماد، وما فعل (ضمادٌ) مع قومه، بل ووجب علينا جميعًا التفاني في دعوة الناس للإسلام، وتعريف الناس به، وإيصاله لهم صحيحًا كاملًا، وليس ناقصًا مُشوّهًا.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. أدب الحديث يبلغ صاحبه ما يريد، فضلا عن كسب ود الناس وقلوبهم.
2. العلم والحلم والأناة والصبر ولرفق واللين هي أهم عدّة للداعية.
3. المسارعة في الخير واجبة، لأن الفرص السانحة قد لا تتكرر.

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

أسئلة للاستيعاب

1. ماذا قال النبي ﷺ في حقِّ أهل اليمن؟
2. اذكر أهم صفات ضماد الأزدي التي عُرفت عنه قبل الإسلام.
3. "فقال: لو أتيت هذا الرجل فداويتُه"
   أ. من القائل؟ وفي أي مناسبة؟
   ب. علام تدل هذه العبارة؟
4. لخص لنا قصة إسلام ضماد في ثلاثة دقائق على الأكثر.
5. "لقد بلغ قاموس البحر"، من قائل العبارة، وما المناسبة التي قيلت فيها.
6. ما الصفات التي نتعلَّمها من النبي ﷺ في حديثه مع ضماد "حين جاء ليعرض عليه علاجه" مما سمع أنه مُصاب به؟
7. هناك بعض أمارات التأدب ورجاحة العقل ظهرت على ضماد في لقائه بالنبي ﷺ اذكر ما فهمته منها.
8. فيم اختلف "ضماد" عن أهل مكة من قريش؟ وما رأيك؟
9. ظهر لـ **"ضماد"** وهو مُشْرك أدبٌ مع الله، وأدبٌ مع "النبي" وضح ذلك.
10. "لا بد للإنسان أن يتثبت مما يسمع"
   أ. لماذا برأيك وجب على الإنسان أن يفعل هذا؟
   ب. هل حدث لك موقف مشابه تيقنت فيه أولا من صحة الخبر؟ وماذا كانت النتيجة؟
   ت. ما نتائج عدم التثبت وتصديق كل خبر يُشاع؟
11. الدعوة إلى الله تحتاج إلى "العلم، والعقل، والحذر"

12. اشرح هذه العبارة في ضوء قصة ضماد الأزدي، كما قرأتها.

13. ورد في الموضوع وقفات يجب أن يتفطَّن لها الدّعاة إلى الله. اذكر بعضها.

14. ما أبرز الدروس التي تعلَّمتها من هذا الموضوع.

15. لو طُلب منك عُنوانٌ آخر لهذا الموضوع ماذا تقترح؟

16 . "تخيل أنك قابلت الآن سيدنا (ضمادًا)". فماذا تقول له؟ وبم تدعو له؟

2-الإِمَـامُ الأعْظَمُ الفَقِـيهُ والمُرَبِّـي

نشأته- رضي الله عنه

نعيش مع إمام من أئمة الدنيا وأعلامها في زمانه، بلغ الغاية فقهًا[33] وعلمًا وورعًا[34]، فعلا حتى لا يكاد يدانيه[35] في علمه وفقهه أحد، وذهب في ذلك بعيدًا حتى لا يكاد يقترب من مكانته عالم. إنه الإمام الأعظم، فقيه الملّة، وعالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان بن زوطى التيمي، الكوفي، فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة، ولد سنة 80هـ، عاش في حياة صغار الصحابة ولم يثبت له رواية عن أحد منهم، ورأى أنس بن مالك، وروى عن جماعة من التابعين. أخذ العلم[36] عن الكثير من علماء عصره منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج[37]، وعمرو بن دينار[38]، ونافع مولى ابن عمر[39]..

---

33 – فقُه في دينه: صار عالمًا بأصول الشريعة وأحكامها.

34 – الورع: ترك المعاصي والابتعاد عن الشبهات خوف الوقوع في الحرام.

35 – يدانيه: يقترب من منزلته.

36 – المقصود تعلَّــم.

37 – عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (المتوفي سنة 117 هـ) تابعي ومقرئ ولغوي. أحد أعلام الحديث.

38 – أبو محمد عمرو بن دينار المكي (46 هـ – 126 هـ) تابعي وفقيه ومحدث مكّي.

39 – أبو عبد الله نافع المدني مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، من أئمة التابعين بالمدينة المنورة، وأحد رواة الحديث النبوي الثقات، روى عن ابن عمر وغيره من الصحابة، كان عالمًا بالفقه، كثير الرواية للحديث، ويعد مالك بن أنس أشهر من لازمه وحدث عنه.

والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود[40]، وعبد الله بن دينار وغيرهم الكثير والكثير[41].

من أمارات علمه وورعه وتواضعه – رضي الله عنه

يعتبر أبو حنيفة أحد أهم علماء الفقه في تاريخ المسلمين وأكبرهم، ومع هذا فقد روى عمن هم أصغر منه سنًّا، حيث روى عن: شيبان النحوي[42] – وهو أصغر منه – وكذلك عن الإمام مالك بن أنس الفقيه صاحب المذهب المعروف[43]، وفي هذا دليل على تواضعه الشديد مع علوّ منزلته في العلم لكنه لم يستنكف[44] أن يأخذ عمن هو دونه في السنّ والعلم. ومما روي عنه أنه كان شديد الذَّب[45] عن محارم الله أن تؤتى، شديد الورع أن ينطق في دين الله بما لا يعلم، يحب أن يطاع الله ولا يعصى، مجانبًا[46] لأهل الدنيا في زمانهم، لا ينافس في عزها، طويل الصمت، دائم الفكر، على علم واسع، لم يكن مهذارًا ولا

40 – القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الكوفي، تابعي ومحدث الكوفة وقاضيها.

41 – عَبْدُ اللهِ بنُ دِينَار مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَيُكَنَّى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ. وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ. وكان ثقة وكثير الْحَدِيثِ.

42 – أبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي النحوي المؤدب، سكن الكوفة فترة، ثم انتقل إلى بغداد، وجالس علمائها وحدث بها عن الحسن البصري، وقتادة، ويحيى ابن أبي كثير.

43 – أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري. فقيه ومحدِّث، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي.

44 – اسْتَنْكَفَ من الشيء، وعنه: أَنِفَ وامتنع تكبرا.

45 – الذَّب: الدفاع.

46 – مجانبًا: مُبتعدًا عن.

ثرثارًا، إن سُئِلَ عن مسألة كان عنده فيها علم، نطق وأجاب فيها بما سمع، وإن كان غير ذلك قاسَ على الحق واتّبعه، صائنا نفسه ودينه، بَذُولًا للعلم والمال، مستغنيا بنفسه عن جميع الناس، لا يميل إلى طمع، بعيدًا عن الغيبة، لا يذكر أحدًا إلا بخير.

(فائدة)

ولننظر إلى حالنا وواقعنا اليوم ونحن نرى أن الكثير من طلاب العلم المبتدئين يستنكفون أن يقال لأحدهم أخطأت وهو مخطئ، أو لا يريد أن يتعلم ممن هو أصغر منه في السن أو العلم إن كان صاحب علم قد برع فيه أكثر، وهو نوع من التكبُّر، والكبر آفة عظيمة من آفات طالب العلم، نربأ[47] بنا وبطلابنا الوقوع فيها. بل وجب علينا جميعًا التواضعُ في التماسه، وأخذه من أهله وإن كانوا صغارًا، أو أقلَّ علمًا طالما أن عندهم ما ليس عندنا من العلوم فالعلم بحرٌ لا ساحل له والله تعالى يقول (وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾) [سورة يوسف]. وقال تعالى في سورة الإسراء (وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾). وفي ذلك قال وكيع بن الجراح "لا ينبُل الرجل حتى يأخذ عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعن هو دونه"!

47 – ننزِّه ولا نرضى.

مِن تلامذة الإمام

أما عمن أخذوا عنه العلم فهم كثيرون، فقد روى عنه أهم علماء مذهبه: كمحمد بن الحسن الشيباني[48] شيخ الشافعي، وقاضي القضاة أبو يوسف[49]، وزفر بن هذيل[50]، وغيرهم.

منهجيةٌ راشدة مميزة نفتقر إليها!

نشأ أبو حنيفة بين حلقات العلم بما فيها من مناظرات ومجادلات[51] واختلاف للآراء، فتعايش في هذا الجو المملوء بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام الموجود في وقته، وقد تأثر بهذا الجو تأثرًا إيجابيًا واستفاد، فاختار لنفسه في مجلسه الفقهي أسلوبًا فريدًا تميز به عن سائر علماء أهل زمانه فكان في مجلسه يستنهض[52] همم طلابه ويستفزّ عقولهم؛ ليستخرج ما عندهم من

---

48 – محمد بن الحسن الشيباني عالم مسلم، فقيه ومحدث ولغوي، صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان، وناشر مذهبه، يلقب «صاحب أبي حنيفة، وفقيه العراق». ولد بواسط سنة 131 هـ، ونشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف، وأخذ عن سفيان الثوري والأوزاعي، ورحل إلى مالك بن أنس في المدينة.

49 – أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المشهور بـأبي يوسف وهو من تلاميذ الإمام أبي حنيفة النعمان. «القاضي أبو يوسف هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي.

50 – زُفر بن الهذيل العنبري التميمي (110هـ – 158هـ) أحد فقهاء المذهب الحنفي الكبار.

51 – جدال وحوار ونقاش علميّ، وتبادل في وجهات النَّظر المختلفة يقوم فيه فريقان خصْمان بالدِّفاع عن قضيّة ما أو مهاجمتها.

52 – اِسْتَنْهَضَ هِمَّتَهُ: حَمَّسَهُ، بَعَثَ فيهِ الحَماسَ، حَثَّهُ على الإقْدامِ.

علم فيسأل السؤال ويطلب منهم الإجابة عليه، ويطلب منهم البحث والتنقيب عن الإجابة الصحيحة ويشاركهم في ذلك. وهو بذلك لم يكن يريد من طلابه أن يتلقوا عنه فقط؛ ليقولوا أحسنت! وبارك الله فيك! وفقط!!

بل كان يربيهم ليكون علماء كبارًا يفهمون ما يقولون ويعرفون الصحيح من السقيم، يربيهم - رحمه الله- ليكونوا أساتذة وهم طلاب عنده، فيستنطق[53] عقولهم وقلوبهم قبل ألسنتهم؛ حتى يتكلموا عن الله ورسوله بفهمٍ صحيح، وهكذا كان يفعل النبي كثيرًا والصحابة يتكلمون ويجيبون بما عندهم ثم يصحح النبي لهم. وبهذا تخرج على يديه علماء لم يستطع أحد من معاصريهم أن يغلبهم في مناظرات فضلًا عن غيرهم من الفلاسفة والملاحدة ومن سار على نهجهم في الزيغ والضلال.

ولا شك أن هذا الأسلوب تعلمه الإمام الأعظم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع صحابته – رضوان الله عليهم فكان يقول لهم (أتدرون من المفلس؟ وفي حديث آخر يقول لهم أتدرون ما الغِيبة؟ وفي حديثه لمعاذ بن جبل، يا معاذ!! ثم يسير بُرهَة ثم ينادي يا معاذ!!).

ومن أمثلة هذا أن رجلًا كان يتكلم في سيدنا عثمان بكلام لا يليق بمقامه – رضي الله عنه – فذهب إليه أبو حنيفة، وقال **له**:

- إن رجلا جاء إليك يريد خِطبة ابنتك وهو رجل معروف بين الناس بالغنى والشرف، سخيّ اليد، كريم الطباع حافظ لكتاب الله يقوم الليل كثير البكاء من خشية الله.

53 – اِسْتَنْطَقَه: طَرَحَ عَلَيْهِ أَسْئِلَةً لِيَنْطِقَ بالفكرة أو القول.

- **فقال له الرجل بخٍ بخٍ**[54]!! حسبك يا إمام! فإن بعض ما قلت من صفاتٍ كفيلٌ أن يكون كفًا لبنت أمير المؤمنين.

- **ثم قال أبو حنيفة للرجل** لكنه فيه خصلة لابد أن تعرفها عنه!

- **قال له الرجل**: وما هي؟ قال: هو يهوديّ!!

- **قال الرجل مستغربًا**: يا إمام جئت لتطلب بنتي لرجل يهوديّ وتقول فيه هذه الصفات؟ وهل هذا يحلّ؟ وهل هذا صحيح يا إمام؟ كيف لرجلٍ يجمع بين هذه المتناقضات؟

- **قال له الإمام أبو حنيفة**- صاحب الحُجّة القوية: فكيف وقد زوّج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنتيه لعثمان بن عفان وأنت تدّعي أن عثمان يهوديّ؟!!

فقطعه بهذه الحُجّة الدامغة[55]، ورجع الرجل عما كان يقوله في سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. **وهكذا كان منهج أبي حنيفة يُحَاجِجُ** بعقله مَن لا تجدي معه الأدلة النقلية من أصحاب القلوب المريضة وأهل البدع والأهواء. **وهذا ما نحتاج إليه -الآن- مع الأدلة النقلية، ألا نهمل العقل فيما يحق للعقل إعماله فيه فيما يخدم الإسلام ويبين مسائله التي يتعرض لها غير المؤمنين من المنكرين خاصة.**

---

54 - اسم فعل للمدح والإعجاب والرِّضا بشيء، ويكرّر للمبالغة، وفي حالة الوصل تُكسر الخاءُ وتُنوّن فتقول: بَخٍ بَخٍ (بَخْ بَخْ) بأعمالك الحسنة.

55 - حجة دامغة: دليل وبينةً لاً يمكن معارضتها.

كلمة طَيِّبــة أخرجت أفقه أهل زمانه!

من العجيب أن الإمام أبي حنيفة لم يجد حال شبابه وترعرعه مَن يُرشده إلى مجالس العلماء والأخذ عنهم، فقد كان في بداية حياته مشتغلًا بالتجارة في ثياب الخـز وتوسَّع في ذلك، حتى كان له دارٌ كبيرة لعمل الخـز (**مصنع**)، وعنده صُنّاع وأُجراء وأعمال كثيرة وكان – رحمه الله – وكان موسرًا واسع الثراء، ومكث على هذه الحال إلى أن قيَّـض الله له **الإمام الشعبي**؛ فحثّه على الاشتغال بالعلم، كما حكى ذلك عن نفسه حيث قال:

- "مررت يوما على الشعبي وهو جالس فدعاني!
- وقال: إلى من تختلف؟
- فقلت: أختلف إلى السوق.
- فقال: لم أعنِ الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء لتستفيد من علمهم.
- فقلت له: أنا قليل الاختلاف إليهم فقال لي: لا تفعل وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء؛ **فإني أرى فيك يقظة وحركة وذكاء. قال: فوقع في قلبي من قوله فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم فنفعني الله بقوله".**

أبو حنيفة المُربِّي الناجح!

كان للإمام الأعظم تلاميذ كُثُر وقد كتب الله لمذهبه القبول والانتشار– بعد فضل الله عليه – بسبب كثرة تلاميذه فكان أوسع المذاهب انتشارًا على وجه الأرض، ولئن دلّ هذا فإنما يدلّ على كثرة علماء مذهبه، والقيام بنشر المذهب الحنفي خير قيام، ومن هؤلاء الذين نشروا مذهبه ومن أهم منظريه

القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (123هـ - 192هـ) أحد تلامذة أبي حنيفة الكبار، وكان يتميز بتبحّره في علوم كثيرة كعلم الحديث والمغازي والتفسير وغيرها من العلوم بجانب علم الفقه، فهو من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل[56] ويحيى بن معين[57]، وأسد بن الفرات، وغيرهم في الحديث، وغيره، قال أبو حنيفة لما عاد أبو يوسف في مرضه، لما خرج من عنده قال: "إن يمُت هذا الفتى فهو أعلم من عليها" وأشار إلى الأرض، أي أعلم من على الأرض".

(فائدة)

والموقف الذي نريد أن نستفيد منه في حياتنا العملية الواقعية معلمين وطلابًا، أن نعرف أن التلميذ (**أبا يوسف**) هذا إنما هو حسنة من حسنات أبي حنيفة، وله قصة مهمة يحسُن بنا ذكرها هنا حدثت بين **الأستاذ والتلميذ**: كان التلميذ أبو يوسف من أسرة فقيرة جدًّا، وذات مرة مرَّ والده على مجلس أبي حنيفة فوجد ابنه في مجلسه، فقال لابنه: يا بُنيّ لا تجلس في مجلس أبي حنيفة، فإننا فقراء نحتاج أن تشغل وقتك لتأتي بالمال حتى نعيش، ولما كان أبو يوسف بارًّا جدًّا بأبيه فترك مجلس أبي حنيفة وآثر طاعة أبيه**!!** فلما افتقده أبو حنيفة (وهذه مهمة الأستاذ المُرَبِّي أن يسأل عن طلابه حينما يفتقدهم، وهذا

---

56 أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (164-241هـ) فقيه ومحدِّث مسلم، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي.

57 يحيى بن معين ولد سنة (ولد سنة 158ه. وتوفي سنة 233ه.)، كان عالما إسلاميا كبيرا في مجال الحديث من أصل فارسي. وكان صديقًا مقربًا للإمام أحمد بن حنبل. من المعروف أن ابن معين أنفق كل ميراثه في البحث عن الحديث النبوي إلى الحد الذي أصبح فيه في أمس الحاجة إليه.

كان ديدن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – مع أصحابه) فسأل عنه؛ لأنه كان يراه طفلًا نجيبًا، يتوسم فيه أن يكون عالمًا كبيرًا، فذهب إليه يُكلِّمه، فحكى له القصة، وقال له:

– إنَّ أبي يُريدني أن أشتغل لقلّة المال.

فدفع إليَّ أبو يوسف مائة درهم!!

– وقال له: **"الزم الحلقة"**، وكأنك تعمل بمقابل لهذا المبلغ في حضور الحلقة، و"إن نَفِدَتْ[58] هذه أعلمني"، فرضي أبوه لشدة فقره، ورضي أبو يوسف، ورضي أبو حنيفة!!

بمثل تربية الإمام الأعظم لطلابه وتفقده[59] لغيابهم تخرج على يديه قاضي قضاة الدنيا وناشر المذهب الحنفي وأكبر مُنَظِّرِيهِ، بل وأعظم علمائه، وهذا درس لكل مُعلِّم يريد الله والدار الآخرة، وإن كان الأصل هو (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)، لكن نحن مطالبون بالأخذ بالأسباب وأن نتفقد طلابنا، وأن نسأل عنهم إذا غابوا ونساعد المحتاج منهم بقدر استطاعتنا؛ فلعلّ الله يُخرِج منهم مَن يكون سببًا في نشر علمنا، ومِن ثم يكون دخولنا الجنة!!

وفي الحقيقة إننا مطالبون بالإبلاغ عن النبي – صلى الله عليه وسلم، فلا ننتظر أجرًا من أحد– إلا من الله تعالى– أو أن يتخرج على أيدينا الكثير أو القليل، بل العمل والبذل لله ورسوله متمثلين قول النبي «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةٍ»، فكم من فُرصٍ تأتينا لِنُعلِّم الناس وندعوهم إلى الله ونحن نُقصّر ونتكاسل ونسوّف!! وننسى أو نتغافل عن قوله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث

58 – نفِد الشيء: فنِي وذهَب بأكمله، لم يبق منه شيء: فناء. والمقصود: إذا أنفتها كلها في الشهر، ولا زلت في حاجة للمال أخبرني.

59 – تفقده: سأل عن سبب غيابه وتابعه.

الصحيح «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ[60]، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»، لذا وجب علينا استغلال أوقاتنا، وأعمارنا في أعظم الأمور وأهمها وهي تبليغ دين الله ونشر العِلم.

أبو حنيفة وتولِّي القضاء

مِن الناس مَن يتمنى أن يلي منصبًا ما، أي منصب! للشهرة ونفع نفسه وكنز المال وغير ذلك، ومنهم مَن يريد بذلك وجه الله وخدمة الناس فيما لا يخالف شرع الله، والحصيف[61] حقًا مَنْ إن رأى في نفسه ضعفًا نأى بنفسه عن أي منصب قد يجرُّه إلى ما لا ينفع الخلق أو يُغضب الخالق، فالدنيا عمرها قصير، وكثيرها قليل، وحسابها يوم القيامة عسير لمن وقع فيما يُغضب ربه، وخاصة العلماء وطلاب العلم؛ لئلا يكونوا فتنةً لغيرهم إذا رأوا منهم بعض المخالفات الشرعية بسبب هذه المناصب.

وها هو الإمام الأعظم –رحمه الله – مع علمه وورعه وتقواه إلّا أنه خاف على نفسه من تولّي منصب القضاء من قِبَل الوزير **ابن هُبَيْرَة**[62]، وكذلك الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[63] قد عرض عليه ابن هُبَيْرَة والي العراق–

---

60 – الفَسِيلَة: نبتة النخل الصغيرة.

61 – رَجُلٌ حَصِيفٌ: جَيِّدُ الرَّأْيِ، حَكِيمٌ، مُتَعَقِّلٌ.

62 – الوزير ابن هبيرة. أحد الوزراء المشهورين. هو أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني نسبًا ثم الدوري البغدادي الحنبلي. ولد سنة 499هـ. وتوفي سنة 560هـ.

63 – أبو جعفر عبد الله المنصور بن مُحمد بن عَلي بن عبد الله بن عباس القُرشيّ هو الخليفة العشرون من خلفاء الرسول، والخليفة العباسي الثاني، ولد سنة 95هـ. وهُو المؤسس الحقيقي للدولة العباسيةِ، وباني بغداد، وقد بويع له بالخلافة في ذي الحجة عام 136هـ بعد وفاة أخيه أبي العباس عبد الله السفاح، وكان السفاح أصغر. وتوفي سنة 158هـ.

آنذاك- قضاء الكوفة فأبى وامتنع، فحلف ابن هُبَيْرَة إن هو لم يفعل ليضربنه بالسياط على رأسه، فقيل لأبي حنيفة:

- **فقال أبو حنيفة**: ضربه لي في الدنيا أسهل عليّ من مقامع الحديد في الآخرة، والله لا أفعلنّ ولو قتلني!!

- فحُكِيَ قوله لابن هُبَيْرَة:

- فقال ابنُ هُبَيْرَة: بلغ قَدْرُهُ[64] أن يعارض يميني بيمينه، فدعاه فحلف إن لم يَلِ القضاء ليضربن على رأسه حتى يموت، فقال له أبو حنيفة: هي موتة واحدة، فأمر به فضرب عشرين سوطا على رأسه!!

- **فقال أبو حنيفة**: اذكُرْ مقامك بين يدي الله، فإنه أذل من مقامي هذا بين يديك، ولا تهددني فإني أقول: لا إله إلا الله، واللهُ سائلك عني حيث لا يقبل منك جوابا إلا بالحق!!

فأومأ إلى الجلاد أن أمسك به، وبات أبو حنيفة في السجن، فأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب لكنه تحمّل من أجل الله!!

كما عرض عليه الخليفة العباسي المنصور القضاء، فأبَى، فسجنه، ومات محبوسا في السجن - رحمه الله تعالى.

---

64 - قَدْرُه أي: مكانتُه ومنزلتُه.

من جميل ما قيل في حقِّـه - رضي الله عنه

كان – رحمه الله – كريمًا، جوادًا، سخيًا بماله، ينفق على العلماء مثلما كان ينفق على عياله. وقد عُنيَ بطلب الآثار، وارتحل في ذلك وهو إمام فقيه، **قال الذهبي**: وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه[65] فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك، توفي سنة 150هـ. وقال عنه **الثوري وابن المبارك**: "كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه"، **وقال علي بن عاصم**: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح عليهم. **وقال حفص بن غياث**: كلام أبي حنيفة في الفقه، أدق من الشعر، لا يعيبه إلا جاهل. وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس. **وقال الشافعي**: الناس في الفقه عيال[66] على أبي حنيفة. وقال الذهبي: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلّمةٌ إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه. **وقال الفضيل بن عياض**: "كان أبو حنيفة معروفا بكثرة الأفعال، وقلة الكلام وإكرام العلم وأهله".

وفاته - رضي الله عنه -

- توفي شهيدًا في سجنه على الراجح، سنة 150هـ، وعمره سبعون سنة.

---

65 – غوامضه: المَسْتُورِيَّاتُ غير المنكشفة.

66 – هو عِيالٌ على غيره: كَلٌّ عليه لا يستقلُّ بأمره. والمقصود: أنه رائدهم وأستاذهم جميعًا.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. طلب العلم لا وقت محدد له، وإن كان في الصغر فهو أولى.
2. لا كبير في العلم، وربما أفاد الإنسان خيرًا ممن دونه مرتبة ودرجة.
3. أسلوب الحوار والمناقشة أحد الأساليب المهمة جدا في تعليم الفقه للناشئة.

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

أسئلة للاستيعاب

1. من دراستك لهذا الموضوع استخرج الصفات التي اتصف بها الإمام أبي حنيفة، ثم حدد هل هذه الصفات موجودة في علماء (أساتذة) اليوم؟ ولماذا؟

2. أبدِ رأيك في القضايا التالية، مع الاستشهاد من واقع حياتك- إن وُجد:

أ- فائدة التعليم عبر الحلقة.

ب- أثر الفقر على التعليم.

ت- إجبار العالِم على المنصب.

ث- دور التلميذ في نشر العلم.

ج- دور المعلم مع تلاميذه.

ح- رفض الأب تعليم ابنه بسبب الفقر!

خ- خضوع الابن للأب وترك التعليم.

د- المعلم الذي يساعد تلاميذه بالمال.

ذ- المعلم الذي يكتفي دومًا بإلقاء الدروس على طلابه.

ر- المعلم الذي يستنطق طلابه ويحاورهم دومًا، ويشركهم في أنشطة العملية التعليمية، والتخطيط لها.

ز- تسخير العلم للسلطان.

س- وقوف العالم في وجه الظلم.

ش- أسلوب الإمام أبي حنيفة مع من كان يسيء إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه.

3. قف خطيبًا أمام جمع من زملائك مشيدًا بسلوك أبي حنيفة في المواقف التالية:

أ. موقفه مع تلميذه "يوسف" حين أراد أبوه ألا يلزم الحلقة أبي حنيفة.

ب. رفض أبي حنيفة تولي القضاء.

4. وجِّه كلمة في دقيقة ونصف للوزير ابن هُبيرة فيما فعله مع الإمام أبي حنيفة.

5. قف خطيبًا محذرًا الحكام وذوي السلطة من استعمال سلطتهم فيما لا يرضي الله.

6. قف خطيبًا محذرًا العلماء من تسخير علمهم لخدمة الظلم والظالمين.

7. استخرج الدروس والعبر التي خرجت بها في هذا النص، واكتبوها في قائمة مرتبة.

8. بصيغة المضارع تكلم عن أهم ما أعجبك في سيرة الإمام أبي حنيفة النعمان.

9. "قيل عن أبي حنيفة الكثير والكثير"، ما المقولة التي أعجبتك؟ ولماذا؟

10. تخيّل أنك قابلت الإمام أبي حنيفة النعمان – رَضِيَ اللهُ عَنْه.

- وجِّه له كلمة شكر، ودعاء لما قام به من خدمة الإسلام والمسلمين.

11. برأيك، لماذا يرفض بعض العلماء مناصب رفيعة؟ ولماذا يسعى إليها آخرون؟

12. تخيل حوارًا دار بين الوزير ابن هُبيرة والإمام الأعظم حول مسألة رفض الإمام تولي منصب القضاء– على ألا يقل عن 3 أسئلة وإجاباتها.

13. لخص لنا الدرس المستخرج من الفائدة الأولى التي وردت في النص.

14. لخص لنا الدرس المستخرج من الفائدة الثانية التي وردت في النص.

15. من هو أقرب معلم درّسك لشخصية الإمام أبي حنيفة وصفاته. اشرح بالتفصيل، واذكر بعض المواقف الدَّالة على صحة كلامك.

16. كيف يكون التلميذ إحدى حسنات المعلم. وضح بالأمثلة من واقع رحلتك التعليمية- إن وجدت.

3- الإمــام البخــاري وحـفـظ السُّــنَّة

التعريف به

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة المعروف بالبخاري. وسُمّي بالبخاري نسبة إلى بلدته (بُخارَى إحدى مدن أوزباكستان الآن) التي ولد فيها سنة 194هـ، وبخارى كانت إحدى أهم مدن العلم والعلماء. والإمام البخاري نموذج حيّ لتأييد الله لدينه بعباده المخلصين، حتى مع أحلك الظروف وأصعبها، فلقد كانت الظروف الصعبة التي نشأ فيها البخاري لا يمكن معها أن يصل إلى عُشر[67] معشار ما وصل إليه رحمه الله- فمع أن البخاري لم يتكلم في بدايته العربية ولم يكن يعرفها كأهل بلدته جميعا، لكنه تعلّمها وبرع فيها، حتى صار بعد القرآن صاحب أشهر وأوثق68 وأصحّ كتاب، كما أجمع علماء أهل السنة والجماعة على ذلك، والذي أمضى في جمعه وتصنيفه 16 عاما. والذي كان من تلاميذه الكثير من كبار علماء الحديث كمسلم[69] والترمذي[70] وغيرهم.

67- المِعْشارُ =عُشْر، جزءٌ من عشرة أجزاء الشَّيء.

68 -أوثق: أحكم وأدق.

69 - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَرْدٍ بن كوشاذ القشيري النيسابوري، ولد سنة (206هـ.) وهو من أهم علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة، وهو صاحب كتاب صحيح مسلم الذي يعتبر ثاني أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري، وهو أحد كبار الحفّاظ، ولد في نيسابور، طلب الحديث صغيرًا، وكان أول سماع له سنة 218 هـ، وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة. وتوفي سنة 261هـ.

70 - أبو عيسى التِّرْمِذِي هو محمد بن عيسى بن سَوْرة، السلمي. المتوفى سنة 279هـ.

أصلا التشريع في الإسلام

التشريع في الإسلام له أصلان أساسيان: هما القرآن الكريم والسنة النبوية. فأما القرآن الكريم فقد تعهد الله بحفظه[71] قال تعالى في سورة الحِجر { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩} ومن حفظ الله للقرآن الكريم حفظه سبحانه للسنة؛ المطهرة، لأنها مفسرة له، ومبيّنة لمجمله، مخصصة لما جاء عامًّا فيه، ومقيدة لمطلقه، كما أن فيها بعض الأحكام التي لم تأت في القرآن. وقد وفق الله للسنة النبوية رجالًا عظماء كان الحديث النبويّ هو شُغلهم الشاغل فقاموا بهذه المهمة الشاقّة خير قيام، فرحلوا في البلاد طولًا وعرضًا يبحثون ويجمعون ويحقّقون ويدقّقون، يُصَحّحون ويُضَعّفون، وينظرون إلى الرجال وأمانتهم في نقل السنة النبوية؛ ليأخذوا عنهم الحديث ويبلغونه للناس، ومَن وجدوا فيه من قلة أمانة أو حتى ضعفًا يسيراً في الحفظ تركوه، إلى غير ذلك من هذه المهمة الصعبة التي لا يستطيعها إلا الأفذاذ من الرجال الذين تخصصوا في هذا العلم العظيم، علم الحديث النبوي الشريف، فحققوا رواياته ورُواتُه، وأَصَّلوا للأسانيد والمتون التي جاءت بها السُّنة المطهرة، مما جعل كل مَن جاء بعدهم مطمئنًا لما يأخذ عن هؤلاء من الشرع، وكان من أعظم هؤلاء الرجال وأفضل هم هو الإمام البخاري.

---

71 – المقصود: آلَى الله على نفسه سبحانه وتكفل بحفظه.

الأرض الطيبة تُخرج غراسًا طيِّبًا!

ومازال التاريخ يسطر بحروف من نور ما لبعض الأمهات من دورٍ عظيم، فمنهم مَن صنعن التاريخ برجالٍ عِظام، ومن هؤلاء الأمهات الفضليات، الأم الصالحة العابدة التقية أم الإمام المحدِّث أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري، فقد مات أبوه وهو صغير، فنشأ يتيمًا، وقد فقد بصره في طفولته.

ولما ذهب بَصَرُ البخاري وهو صغير، ألهمها ربّها الرحيم الكريمُ الذي لا تُغلقُ أبوابُه، ولا تنقطعُ عطاياه، ألهمها باللجوء إليه وكثرة التوسل والدعاء له سبحانه وتعالى، وفعلًا استجاب الله لها سبحانه وظلّت تدعُو ربها ليلًا ونهارًا، وقد دامتْ على هذا الأمر مدةً حتى نامت ليلة بعد صلاتها فرأت في منامها سيدنا إبراهيم عليه السلام يقولُ لها: (يا هذه، قد ردَّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك) فاستيقظتْ من نومها وقلبُها يُخفقُ[72] من هذه الرؤيا وبشارتِها[73] ووضوحِها، وجلستْ تنتظرُ الصباحَ بفارغ الصبر[74]، وأُذِّنَ لصلاة الفجر، وأيقظتْ أمُّ "محمد" ولَدَيْهَا للصلاة، ورأتْ صِدقَ هذه الرؤيا. فقد أبصرَ "محمد" وقام وحده ليتوضأ، فما كان منها إلّا أن بَكَت من شدة فرحتها بما رأت وسجدتْ لله شاكرة ربها.

حرص الأم على تعليم ابنها وبلوغه أعالي الدرجات!

ولد الإمام البخاري يتيما لكن أمه رحمها الله كانت نعم الأمّ ونعم المربّية لأولادها، ونعم الزوجة الوفيّة لزوجها، فها هي قد احتضنتْ ولديها، وقامتْ عليهما أحسنَ قيام، واهتمت هذه المرأة العظيمة بتربية ولديها التربية

72 – خفَق القلبُ: اضطرب وتحرّك زادت ضرباته لانفعال أو خوف أو جهد.
73 – البُشارة والبِشارة: خبر سارّ ومُفْرِح لا يعْلَمه المُخْبَر به
74 – المقصود: عدم القدرة على التحمل.

الصحيحة المطلوبة شرعًا وعقلًا، واعتنت به عناية عظيمة وحرصت-رحمها الله -على أن ينهل[75] ابنها من العلم الشرعي ويترعرع[76] فيه ويتربّى عليه، فأسلَمَته إلى مُعلّم الكُتاب، وظل يتعلم في كُتّاب بلدته إلى أن بلغ عمره عشر سنوات. ودفعت الأم ابنها لارتياد مجالس العلم في بلده بخارى، ولم يتوقف دور هذه الأم هنا، بل استكملت مسيرتها العظيمة، فعندما بلغ عُمر ابنها ست عشرة سنة، خرجت به للحجّ مع أخيه الأكبر أحمد، فلما رأت فيه حُبّ العلم والحديث خاصةً تركته لطلب العلم ورجعت هي مع ولدها "أحمد" إلى بلادهما؛ وذلك لأنها كانت طموحة[77] في أن تجعل ابنها من العلماء المبرّزين[78]، فرسخت[79] عنده فكرة الرحلة في طلب العلم والتّطواف على العلماء في بلاد الإسلام فعاش في مكة والمدينة ست سنوات، ثم بدأ رحلته إلى غيرهما. وظل الإمام البخاري في مكة لطلب العلم ورحل إلى العلماء في كثير من الأقطار. **يقول البخاري**: "دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة (بين دجلة والفرات) مرتين"، وإلى البصرة أربع مرات، وكل مرة يمكث فيها شهورًا وسنين يتعلم العلم. قال: ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد"!! وكل هذا في ميزان حسنات أمه وأبيه، بإذن الله تعالى.

---

75 – المَنْهَلُ: اسم مكان من نهِلَ: مورد؛ مكان الشُّرب، المورِدُ. والمقصود: يأخذ العلم بقوة ونَهَم.
76 – تَرَعْرَعَ الطِّفْلُ فِي حِضْنِ وَالِدَيْهِ: نَشَأَ وَشَبَّ. وترعرع في العلم: نشأ فيه.
77 – امرأة طموح: لديها رغبة شديدة لتحقيق شيء ما.
78 – رجلٌ مُبَرَّزٌ فِي عَمَلِهِ: لَهُ أَهْلِيَّةٌ وَكَفَاءةٌ ومكانة.
79 – رسّخت: ثبتت وزرعت.

فائدة للأمهات

ولعل هذا يوضح لنا الأهمية الكبيرة والدور العظيم المنوط بالأسرة وخاصة الأم التي هي مسؤولة مسؤولية مباشرة في الدنيا والآخرة عن أبنائها، وهذا هو النتاج الطبيعي للأم (الأسرة) الصالحة التي عَرَفت دورها ومسؤوليتها. فانظروا يا مَن ستُسألون عن أبنائكم وَمَن تعولون[80]!! **وإلى مثل هذا الدور** الذي قامت به الأم من تعلق بالله تعالى وغرس الحرص على اكتساب العلم في أولادها، والتماسه بكل الطرق رغم الظروف الصعبة والفقر، وهو ما نطمح إليه وما نرجوه في زماننا الذي كادت تضيع فيه لُحمة[81] الأسرة وتسقط أركانها، وتتهاوى[82] فيه الكثير من القِيم والأخلاق في البيئات والمجتمعات وحتى في المؤسسات التعليمية –إلا ما رحم ربي وعصم – وهم قليل.

شيوخ البُخاري وأساتذته

كان للبخاري رحمه الله شيوخٌ كثيرون وصلوا لأكثر من ألف وثمانين، وذلك لكثرة رحلاته التي قام بها في البلاد المختلفة، وفي هذا قال عن نفسه: "كتبت عن ألف وثمانين نفسًا ليس فيهم إلا صاحب حديث".

---

80 – تعولون: ترعون وتقومون على شئونهم.
81 – لُحْمَةُ الأسرة: أي أساسها وأصلها ومكوناتها.
82 – تتهاوى: تسقط.

على رأسهم إمام السنة أحمد بن حنبل[83]، وعلّامة العلل[84] في زمانه علي بن المديني[85]، ومنهم إسحاق بن راهويه[86]، ومنهم أعظم علماء الجرح والتعديل[87] يحيى بن معين[88] وأبو حاتم الرازي[89]، لذا فهو من أعظم العلماء لأنه تتلمذ على أهم شيوخ الدنيا في زمانه وكانوا يجلّونه ويقدرونه رحمه الله.

أهم مصنفات الإمام البخاري وسبب تأليفه

بدأ الإمام البخاري التأليف وهو في عُمْر الثامنة عشرة، وصنف أكثر من عشرين مؤلفًا من أهمها: التاريخ الكبير، الأدب المفرد، خلق أفعال العباد، ورفع اليدين في الصلاة، والكُنَى، وغيرها من الكتب، وأهم مؤلفاته على

83 - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي فقيه ومحدِّث مسلم، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي. (164-241هـ).

84 - علم العلل أو علم علل الحديث هو علم يهتم بدراسة الأسباب الخفية التي تؤدي إلى ضعف الحديث، مع أن ظاهر الحديث الصحة والسلامة.

85 - والحسن علي بن عبدِ اللهِ بنِ جعفر بنِ نجيح بنِ بكر بن سعد، وهو من أكابر شيوخ البخاري ومن الأئمة في علم الحديث النبوي.

86 - إسحاق بن راهويه المروزي الحنظلي التميمي (161هـ- 238هـ)، الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أحد أئمة المسلمين، وعلماء الدين.

87 - علم الرجال هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ. أو علم رجال الحديث ويسمى أيضا علم الجرح والتعديل أو علم الجرح والعدالة هو أحد فروع علم الحديث، يبحث فيه عن أحوال رواة الحديث من حيث اتصافهم بشرائط قبول رواياتهم أو عدم قبولها.

88 - يحيى بن مَعِين هو الإمام الحافظ، إمام الجرح والتعديل، شيخ المحدثين (ولد سنة 158هـ) أحد كبار علماء الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة وتوفي سنة 233هـ.

89 - محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، الحنظلي الغطفاني، محدث ومن علماء الجرح والتعديل، كنيته أبو حاتم، ولد سنة 195 هـ وتوفي سنة 277هـ.

الإطلاق وأعظمها هو (الجامع الصحيح المسند من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) وهو المشهور بين الناس (بصحيح البخاري). وهو أصح كتاب بعد كتاب الله على الإطلاق، لأنه اعتمد في كتابه على أعلى درجات الصحة من الأحاديث النبوية.

إطلالة على سبب تأليف كتاب صحيح البخاري.

شاء الله تعالى وهيَّأ الأسباب لتأليف البخاري كتابه (الصحيح)، وعن سبب تأليفه له يقول رحمه الله: "كنت عند إسحاق بن راهويه – وهو من شيوخ البخاري– فقال: **لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم،** – وذلك لأن الكتب في زمانه كانت تجمع بين الصحيح والضعيف– قال البخاري: "فوقع ذلك في قلبي[90]، فأخذت في جمع الجامع الصحيح" وقد مكث في تأليفه 16 سنة، وفي ذاك الوقت رأى البخاري رؤيا، فقال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذبّ بها عنه، فسألت بعض المعبرين للرؤى فقال لي أنت تذبُّ الكذب عن رسول الله، فحملني هذا على جمع الجامع الصحيح". وقد اطلع علماء عصره على كتابه الجامع الصحيح وشهدوا بأن هذا الكتاب هو أفضل كتاب في الحديث من حيث الصحة. وممن شهدوا له أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني[91]، ويحيى بن معين، وغيرهم. وقد كتب الله لهذا الكتاب القبول فهو يعدّ من أكثر الكتب التي شُرحت وحققت من حيث أسانيده[92]

---

90 – وقع في قلبي: أي أثر في نفسي وتعلقت به.

91 – أبو الحسن علي بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بنِ نجيح بنِ بكر بن سعد (161 هـ – 234هـ)، وهو من أكابر شيوخ البخاري ومن الأئمة في علم الحديث النبوي

92 – الإِسنادُ: نسبةُ الحديثِ إِلى رواتِهِ. ج: أسانيد.

ومتونه[93]، وأشهر شروحه[94] فتح الباري[95] للإمام ابن حجر العسقلاني[96]، وعمدة القاري للبدر العيني، وإرشاد الساري[97] للقسطلاني، وغيرها.

ولا يخفى مما سبق ما كان من أثر لكلمة الشيخ إسحاق بن راهويه الطيبة واقتراحه الحسن على البخاري بل وعلى الأمة الإسلامية جميعا حيث دفعته لتأليف أصحّ الكتب بعد كتاب الله، ونحسب أن كل هذا في ميزان حسنات شيخه إسحاق بن راهويه.

---

93 – متْن الحديث: غاية ما ينتهي إليه الإسناد من الكلام. ج: متون.

94 – علم شرح الحديث هو من فروع الحديث اعتنى العلماء بجمع حديث الأربعين وشرحه لما روي أن النبي قال: من حفظ على أمتي أربعين حديثا كنت له شفيعا يوم القيامة.

95 – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ألفه الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو من كتب تفسير الحديث وأجمعها في شرح صحيح البخاري.

96 – هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني، ثم المصري (شعبان 773 هـ/ 1371م – ذو الحجة 852 هـ/ 1449م)، مُحدِّث وعالم مسلم، شافعي المذهب، لُقب بعدة ألقاب منها شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث.

97 – إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري هو كتاب من كتب تحقيق الحديث، ألفه الشيخ شهاب الدين القسطلاني، يعتبر الكتابُ مرجعـًا في فقه الحديث وهو شرحٌ على أصح الكتب بعد القرآن الكريم وهو صحيح البخاري، اعتمد فيه مصنفه على شرح السند والمتن، وهو يشرح المفردات ويبين ما يستنبط من الحديث أيضا معتمدا على أقوال أهل العلم والفقه وآرائهم.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. السعي في طلب العلم هو سعي في طريق الجنة.
2. العمل والاجتهاد بنية صالحة قد يبلغ صاحبه مكانة لا يقترب منها أحد.
3. للأسرة دور عظيم في خدمة الأمة وذلك بتربية الأبناء الصالحين.

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

أسئلة للاستيعاب

1. اشرح كيف يمكن لإنسان أن يتميز عن أبناء قريته جميعًا في مجال ما؟ واذكر أمثلة من واقع حياتك.

2. استخرج من الفقرة الثانية:

أ- أسباب حفظ الله تعالى للسنة النبوية الشريفـة؟

ب- كيف كان منهج الأئمة الذين اشتغلوا بجمع الحديث الشريف؟

3. مما قرأت هاتِ دليلًا على أثر صلاح الأم على الأولاد؟ واذكر مثالًا شبيهًا من واقع حياتك لأم صالحة نفع صلاحها أولادها (إن وُجد).

4. الأرض الطيبة لا تُخرج إلا نبتًا طيِّبًا. اشرح هذه العبارة من واقع نشأة الإمام البُخاري- رضي الله عنه.

5. اشرح لنا دور أم الإمام البخاري في وصوله إلى ما وصل إليه من علم ورفعة شأن! وكيف ترى ما فعلت؟

6. احكِ لنا عن أم/ أب في محيطكم فعل(ت) شيئًا قريبًا من هذا مع أبنائهـ(ـا) في رحلة طلب العلم.

7. علام يدل كثرة العلماء الذين يتعلم على أيديهم المرء؟

8. كم أستاذا تعلمت على أيديهم وانتفعت بعلمهم (اذكر أسماء 10 منهم)، واذكر لكل منهم صفة بقيت معك ولازمتك حياتك؟

9. لخص لنا شفاهة سبب تأليف الإمام البخاري لكتابه الصحيح.

10. هناك بعض العلامات والأمارات الدالة على قبول الله تعالى لكتاب الإمام البخاري. اذكر بعضها.

11. قد يلقي أحدنا كلمة على الحاضرين فينتفع بها الأمة كلها أو بعضها. اذكر دليلا على صدق هذه العبارة مما قرأت. وهل حدث في محيطك مثل هذا.

12. ورد في هذا الموضوع فائدتان بيِّن المقصود منهما وكيف يستفيد من تحققهما المجتمع.

13. تخيل أنك قابلت الآن الإمام البخاري:

أ. اسأله ثلاثة أسئلة عن كتابه "صحيح البخاري".

ب. وجّه كلمة شكر ودعاء جزاء ما فعل لخدمة الإسلام والمسلمين.

14. ما المقصود بهذه العبارة "صحيح البخاري: أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى"؟ وعلام يدل ذلك؟

15. وجِّه كلمة لأمهات اليوم مبينًا فيها ما يجب عليهن فعله مع أبنائهم- متمثلًا بأم الإمام البخاري، وأم أخرى من واقع حياتك.

16. وجِه كلمة لطلاب اليوم مبينًا فيها واجبهم تُجاه تلقي العلم، وتُجاه معلميهم.

17. اذكر أهم ما تتعلمه الأم (أو ما يتعلمه الأب) من هذا الموضوع. (5 دروس وعبر).

18. اذكر أهم ما يتعلمه طالب العلم من هذا الموضوع (5 دروس وعبر).

4- محمد بن القاسم.. القائد المظلوم

التعريف به

مُحمَد بن القَاسِم الثَقفي قائد أحد جيوش الفتح، اُشتُهِر بِكونِه فاتح بِلاد السِند. ولد في عام 72هـ بمدينة الطائف في أسرة معروفة، فقد كان جده محمد بن الحكم من كبار ثقيف[98]، كَان وَالِده «القاسم الثقفي» واليًا على البصرة، وهو ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي. عاش وترعرع في مدينة واسط[99] التي بناها الحجاج معسكرًا لجنده الذين يعتمد عليهم في الحروب، وفي هذه المدينة وغيرها من مدن العراق نشأ نشأة دينية وعسكرية جعلته شابًّا بلا مراهقة، فكانت كل اهتماماته عسكرية جادة لعز الإسلام والمسلمين؛ مما أهّله[100] لأن يكون من عظماء القادة وهو لم يتجاوز عمره 17 سنة.

محمد بن القاسم نموذجٌ مشرف لكن ظلمه التاريخ

دائما ما نرى في تاريخنا الإسلامي المُشرق المُشرّف نماذج من القيادات الشابة الذين كانوا شامةً[101] في دنيا القدوات وهو في ريعان شبابه[102]، فنجد منهم مَنْ كانوا على قدر كبير من المسؤولية تجاه دينهم ووطنهم، وكانوا على

---

98 – ثقيف قبيلة عربية تقيم منذ ما قبل الإسلام وإلى اليوم في مدينة الطائف وما حولها غرب شبه الجزيرة العربية وهي إحدى قبائل قيس عيلان المعروفة بِالقبائل القيسية.

99 – واسط (عرفت كذلك بأسماء واسط الحجاج وواسط العظمى وواسط العراق) كانت مدينة تاريخية بسواد العراق ازدهرت خلال العصور الوسطى.

100 – أهَّله: جعله مستحقا وأهلا للشيء.

101 – الشَّامَةُ: العلامةُ البارزة. ج: شامات وشام.

102 – رَيْعَانُ كل شيء: أَوَّلُهُ وأَفضله.

الأُهبة[103] دائما في خدمة شعوبهم، فما أن يدعوهم داعي الجهاد في سبيل الله إلّا ولبّوه[104]، وكانوا في المقدمة يقدمون أرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون من غالٍ ورخيص في سبيل دينهم وأمتهم وقومهم.

ومن هؤلاء الأفذاذ[105] محمد بن القاسم الثقفي أحد شباب المسلمين الذين ظلمهم التاريخ، وظلمه بعض أمرائه لما سوّلت لهم أنفسهم سجنه وقتله– لأمور شخصية نفسية – وهو الذي كان قد فتح الله على يديه بلاد ما وراء النهر[106] ودخل هذه البلاد بسببه، وبسببه تم إرجاع المسلمات اللاتي خطفهن أحد حكام بلاد ما وراء النهر الظلمة الكفرة. كان مقاتلًا فذًّا، وقائدًا إنسانيا من طراز فريد[107]، وصفه المؤرخون بالتزام الإنسانية والقيم الإسلامية والأخلاقية في كل حروبه، فلم يعرف عنه أبدًا أنه قتل امرأةً ولا طفلًا ولا شيخًا كبيرًا ولا مَن لا علاقة له بالحرب، وللأسف، فرغم كل ذلك فإن الكثير من شبابنا الآن لا يعرفون عن سيرته وحياته شيئًا!!

---

103 – الأهبة: الاستعداد.

104 – لبُّوه: أطاعوه وأجابوه.

105 – الأفذاذ: م الفذ، وهو المتفرِّد في مكانته، أو كفايته.

106 – بلاد ما وراء النهر، هي منطقة تاريخية وجزء من آسيا الوسطى، تشمل أراضيها أوزبكستان والجزء الجنوب الغربي من كازاخستان والجزء الجنوبي من قيرغيزستان.

107 – طراز فريد: شكل ونمط لا مثيل له.

سبب فتح بـــلاد السِّـــند[108]

وكانت الفتوحات الإسلامية في أَوْج توسّعاتها في أيام خليفة المسلمين آنذاك الوليد بن عبد الملك أعظم ملوك الأمويين على الإطلاق[109]، وكان في وقته أعظم ملوك السند وأقواهم بأسًا ملك يسمّى (داهر)، - هذا الذي قتل عامل الحجاج[110] محمد بن هارون وهزم جيوش المسلمين_ وبلاد السند هذه هي بوابة القارة الهندية ولا يمكن السيطرة عليها إلا بالسيطرة على السند (باكستان وما حولها الآن).

ثم حدث في سنة 88هـ أن سفينة عربية كانت قادمة من جزيرة الياقوت (بلاد سيلان)[111] عليها نساء مسلمات، وقد مات آباؤهنَّ ولم يبق لهنَّ راعٍ هناك، فقررن السفر للإقامة في العراق، ورأى ملك سيلان في ذلك فرصةً للتقرب إلى العرب فوافق على سفرهنَّ، بل حمل السفينة بهدايا إلى الحجاج

---

108 - الزاوية الغربية لجنوب آسيا الوسطى، ويَحدُها من الشمال والغرب مقاطعات بلوشستان، ومن الشمال الشرقي إقليم البنجاب، وولايات راجاستان وغوجارات الهندية من الشرق، ومن الجنوب خليج العرب. يُعتبر إقليم السند ثالث أكبر الأقاليم الأربعة التي تضُمها باكستان.

109 - أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي سادس خلفاء الدولة الأموية ولد في المدينة المنورة وتولى الخلافة بعد وفاة والده عبد الملك بن مروان عام 86هـ، واستمرت خلافته عشر سنوات حتى وفاته عام 96هـ، وهو الذي أنشأ الجامع الأموي في دمشق.

110 - أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (40 - 95ه)، قائد في العهد الأموي، وُلِدَ ونَشأَ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قَلَّدَه عبد الملك بن مروان أمر عسكره.

111 - جزيرة سيلان في جنوب قارة آسيا وجنوبيّ الهند. وسيلان هو الاسم القديم لدولة سريلانكا حاليّـًا، وتُعتَبر جزيرة من جُزر المُحيط الهنديّ، وتُعرَف رسميّـًا باسم جمهوريّة سريلانكا الديموقراطيّة.

والخليفة الوليد بن عبد الملك، وبينما كانت السفينة في طريقها إلى البصرة مارة بميناء الديبل[112] ببلاد السند، خرج قراصنة من السند واستولوا عليها وأخذوا كل ما فيها حتى النساء، وجاء الخبر للحجاج بن يوسف والي العراق آنذاك فكتب الحَجاجُ إلى ملك السَّند يطلب منه الإفراجَ عن السفينة الإسلامية ومَن فيها من النساء المسلمات، لكن هذا الملك ردّ على الحجاج بن يوسف معتذرًا عن ذلك، واحتج بأن الذين خطفوا هذه السفينة هم لصوصٌ وأنه لا يقدر عليهم.

محاولة أولى غير ناجحة!

من هنا قرّر الحَجاجُ فتحَ هذه البلاد كلها وتخليص المسلمات، فجهز الحجاج جيشين كبيرين الأول بقيادة (عبيد الله بن نبهان السلمي)، والثاني بقيادة (بديل البجلي)، وفشلت كلتا الحملتين، وقتل فيها القائدان، وأُسِرَ بعض الجنود المسلمين، ورجع الباقي مهزومين، وما أن وصلت هذه الأخبار إلى الحجاج أن النساء المسلمات والجنود الذين تم أسرهم كلهم في سجن العاصمة في الديبل، ورأى مدى الإهانة التي ستلحق بهيبة المسلمين لو سكت عن تلبية نداء مسلمات اللاتي تم انتهاك حقوقهن وأسرهن، فعندها جهز جيشًا كبيرًا لرد هيبة[113] المسلمين وإرجاع المسلمات!

قائدٌ فذّ ومهمةٌ خطيرة!

وهنا بدأ الحجاج يفكر من هذا الذي سيختاره قائدًا لجيشه في هذه المهمة الخطيرة؟ فاختار ابن أخيه القائد الشاب (محمد بن القاسم)، فهل اختاره

---

112 - الديبل (بالأردية: ديبل) مدينة عريقة في السند جنوبي باكستان. ومنها دخل الإسلام إلى جنوب آسيا، وتعرف حاليا بمدينة كراتشي.

113 - هيبة: مهابة والمقصود: مكانة.

الحجاج لقرابته منه فقط؟ كما قد نرى الآن في دنيا الناس؟ كلا كلا، إنما اختاره لكفاءته القيادية والعسكرية فضلا عن ثقته فيه وفي قدراته، وفعلًا كان محمد بن القاسم يجمع الأمرين، الثقة والكفاءة الحقيقية؛ ولهذا استقر رأيُ الحجاج على تعيين ابن أخيه القائد الفذّ (محمد بن القاسم الثقَفي) لهذه المهمة الصعبة والتي هُزم فيها القادة السابقون له، فجهزه تجهيزا جيدًا، وبعث معه جيشا قوامه[114] نحو 20 ألف جندي.

تنـــويه للشباب المسلم!

وكان هذا القائد المُختار لهذا العمل العظيم آنذاك لم يكن قد تجاوز 17 عاما!! (في زماننا الآن يكون في الصف الثالث الثانوي). نعم، سبعة عشر عامًا ويقود جيوش المسلمين لفتح أكبر الممالك في المناطق الشرقية، بل ويهدد أكبر ملوك الهند في ذلك الوقت. هنا وجب التنويه بمراجعة أنفسنا في تربية أبنائنا في هذه الأيام، من أجل غرس القيم واتخاذ القدوات الصحيحة لهم!!

شرط الحجاج! وشرط القائد الفذ!

اشترط الحجاج على هذا الشابّ الفذ ألا يرجع إلّا منتصرًا فاتحًا هذه البلاد مخلّصًا المسلمات من يد الكفار، فردّ عليه هذا القائد الشابّ، لك هذا وزيادة! **بشرط أن** تعطيني مع هذا الجيش أسطولا بحريا يساند جيشي، فأعطاه الحجاج ما طلب، وتحرك محمد بن القاسم بجيشه نحو بلاد السند وبدأ يفتح مدنها المدينة تلو الأخرى متجها نحو مدينة الديبل التي كانت من أحصن مدن السِند فقام بحفر الخنادق ونصب المجانيق حولها ودارت رحى حرب شديدة مع جيشها، لكن سرعان ما فتحها بعد قتالٍ عنيف دام 3 أيام

---

114 – قوامه: عدده.

فهدم تمثال "**بوذا الكبير**" بها جراء[115] ما فعلوه بالمسلمين والمسلمات، وهدم معابدَها وصبَغها بصبغةٍ إسلاميةٍ تامة.

محمد بن القاسم يستكمل مسيرة الجهاد وفتح بلاد السند.

وبعد فتح الديبل، سمعت البلاد المجاورة لها بما حدث للديبل وهي المدينة الحصينة فطلب أهلُ المدن المجاورة من محمد بن القاسم الصلحَ فصالحهم على ذلك، ثم مضى يكمل مسيرته الجهادية في فتح غيرها من البلاد، فعبرَ محمد نهرَ السند، وفاجأ ملكها (داهر) ملكَ السند الذى كان قد أعدّ جيشا ضخما ومعه 60 فيلا ليقاتل جيش المسلمين، فالتقى الجيشان في معركةٍ حامية استمرت 7 أيام وكان ذلك في شهر رمضان سنة 92 وقيل سنة 93هـ قُتِل فيها داهر وحَرقتْ امرأتُه نفسَها هي وجواريها، ووقعت (صِيتا) ابنته في الأَسْر، واستسلمتْ باقي بلاد السند وأصبحت جزءا من بلاد الإسلام، ثم التقى محمد بجيش إقليم "الكيرج" وهي بلدةٌ على حدود الهند، فهزمهم المسلمون هزيمة منكرة وقتلوا ملكها وكان اسمه (دوهر)، وكان رحمه الله يعامل الأسرى وأهل هذه البلاد المفتوحة بأخلاق الإسلام وتعاليمه فعفا عنهم وعاملهم بالحسنى، وحمى لهم ديارهم ومعابدهم وأموالهم، فبدأ الناس يدخلون في دين الله حتى انضم إلى جيشه من هؤلاء أربعة آلاف مقاتل.

ابن القاسم ضحية الخلافات الشخصية.

للأسف، لم تكتمل فرحته بدخول الإسلام هذه البلاد ولا بهذه الانتصارات التي لم ينجزها أحد قبله!! حتى بدأت مأساته التي أودت بحياته على يد الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان فما هي قصته معه. لقد كان

---

115 – جرّاء: بسبب أو من أجل.

من أهم الإنجازات العسكرية لمحمد بن القاسم الثقفي: فتح بلاد السند وبعض بلاد الهند. وفتح بعض بلاد البنجاب[116]. وفتح مدينة الديبل.

لكن بعد هذه الفتوحات بقليل مات الحَجاج والي العراق، ومات بعده بقليل الوليد بن عبد الملك سنة 96 هـ، ومن ثم تولّى سليمان بن عبد الملك بعده وكان هذا هو سبب مأساة هذا البطل العظيم المجاهد محمد بن القاسم الثقفي، حيث كان سليمان بن عبد الملك يبغض الحجاج وأهله وولاته وقادة جيوشه ومنهم بطلنا هذا، فلما تولى أصدر قرارًا بعزل محمد بن القاسم الثقفي، وولى رجلًا من أتباعه اسمه يزيد بن أبي كبشة، وأمره بالقبض على محمد بن القاسم، هذا البطل المغوار وهو يسير من انتصار لانتصار، فبعد أن كان على وشك أن يفتح الهند كلها، يأتي الأمر بالقبض عليه وسجنه وإرساله إلى العراق ليموت في سجنه تحت التعذيب!!

نبأ العزل وموقف الأنصار.

لما وصل نبأ عزل محمد بن القاسم حاول بعض أنصاره ومحبيه أن يقنعوه بالعصيان، قائلين له:

- إنك تسيطر على كل هذه المناطق ولا يستطيعون أن يصلوا إليك..
- تستطيع أن تعلن خلافة لك هنا وتنفرد بهذه البلاد البعيدة عن مركز الخلافة..
- حاولوا إقناعه بأنه مظلوم -وفعلًا هو مظلوم-، لكن محمد بن القاسم كان طرازًا نادرًا في الأخلاق، كان من القادة الذين يعملون لخدمة أمتهم وخدمة الإسلام لا يريدون من الدنيا شيئًا، فخاف من نتيجة هذا الأمر

---

116 - البنجاب هي ولاية في شَمَال الهند، تُشكِل جُزءًا من مِنطَقَة البنجاب الأكبر في شبه القارة الهندية.

في الدنيا، وما سيؤدي إليه من تفرق الأمة وتمزقها، وخاف من عقاب الله في الآخرة إن كان هو سبب في تفرقة بلاد المسلمين وتجزئتها؛ ولذا وافق على قرار العزل دون مقاومة.

ابنة الملك "داهر" وَفِرْيَتُهَا الشَّنيعة!

خلال هذه الأحداث كانت (صيتا) ابنة داهر قد امتلأ قلبها حقدًا على محمد بن القاسم، فلما علمت بعزله من منصبه أرادت أن تدرك ثأرها[117] وتشفي غليلها، فتقدمت إلى الوالي الجديد يزيد بن أبي كبشة وهي تعلم خلافهم مع محمد بن القاسم، فادَّعت أن محمد ابن القاسم اغتصبها بالقوة بعد وقوعها في الأسر، وهي تهمة عظيمة وفرية كاذبة من وثنية مشركة على بطل عظيم، وجاء القرار بعزل محمد والقبض عليه وإرساله إلى والي العراق صالح بن عبدالرحمن للتحقيق، وبالفعل أُخذ هذا البطل العظيم مقيدًا بالأغلال والسلاسل، وكان المشهدُ شديدَ الأثر على مسلمي السند؛ فاصطفّوا لوداعه وهم يبكون ولسانُ حاله ينشد قائلًا:

أَضاعُوني وأَيّ فَتىً أَضاعُوا   لِيوم كَرِيهَةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

فعذبه صالح بن عبد الرحمن شهورًا، وظل ثابتًا صامدًا تحت التعذيب متمسكًا ببراءته وطهارته من هذه الكذبة. ولم يكن له من ذنب سوى فتوحاته العظيمة وقرابته من الحجاج، وجاءت اللحظة الحزينة التي مات فيها في السجن مظلومًا شهيدًا -بإذن الله. وحينئذٍ حزن عليه مسلمو السند بينما فرح كفّارها لخروجه بهذه الطريقة المُهينة؛ وخلعوا الطاعةَ وعادوا للكفر وهمّوا بإخراج المسلمين، وتوقفتْ مسيرةُ فتح الهند بعزل هذا البطل لعدة قرونٍ

117 - تدرك ثأرها: تنتقم منه، وتتسبب في مقتله.

بعدها، وبعد أن ادّعت (صيتا) الكافرة أن محمدًا اغتصبها بالقوة، عادت بعد موته تحت التعذيب والتنكيل وتحرّك ضميرُها واعترفت بجريمتها!

نعم قد اعترفت هذه الكافرة ببراءته من التهمة الشنعاء! إلا أن هذا الاعتراف جاء متأخِّرًا جدًّا، ولذا أمر الخليفةُ سليمانُ بن عبد الملك بقتلها جزاءَ افترائها وقصاصا لهذا البطل البريء، لكن بعد أن سبق السيف العزل!!

– رحم الله محمد بن القاسم الذي توفي في سنة 96هـ، مات هذا القائد الفاتح الشاب وعمره – يا شباب الأمة– 23 سنة فقط.

قضايا ووصايا!

ومن هذه القصة يتبدى لنا بعضًا من القضايا المهمة التي نلخصها في عجالة:

أولا: يعد محمد بن القاسم رضي الله عنه نمطًا من القادة والأمراء والعظماء والعلماء هم من يستحقون أن يكونوا قدوة لشبابنا وشابَّاتنا في هذه الأيام، وليس غيرهم.

ثانيا: نحن غالبًا لا نتعلم من أخطائنا فنكرر بعضها في حياتنا بل ونتوارثها جيلا بعد جيل؛ حيث نُدخل الخلافات الشخصية في أمور اختيار القادة والأكْفَاء وأمور توليتهم وعزلهم في كل مجالاتنا العسكرية والسياسية والثقافية والتربوية والدينية والتعليمية، وغيرها، مع أن هذا ضد الإنسانية وضد النجاح وضد التقدم وفيه تضييع للكفاءات وخلق للشجار والمنازعات!!

ثالثا: الحق والعدالة والإنصاف ونبذ الخلافات وإيثار أهل الكفاءات على أهل الثقة والقرابة في سوس أمور الدول والبلدان، من أهم أسباب

النصر، وليتعلم القادة ألا يجعلوا أمثال هؤلاء العظماء والكفاءات ضحايا للخلاف السياسي بينهم.

رابعًا: لا بد أن يأخذ الشباب فرصتهم في القيادة وتولي المناصب العليا في شتى المجالات، فهم عماد نهضة الأمم وسر تقدمها وأعمدة نهضتها، وتاريخنا الإسلامي مليء بأمثال محمد بن القاسم-رضي الله عنهم أجمعين.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلَّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. قد يكون الإنسان صغيرا في السن لكنه كبير في القيمة والقدر.
2. يغار المسلم على دينه ووطنه وعرضه وكرامته ويثور لكل ذلك.
3. الأمة الناجحة هي التي تعطي للشباب دورهم في القيادة.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

أسئلة للاستيعاب

1. اشرح كيف نشأ محمد بن القاسم نشأة جندية وعسكرية.
2. ورد في الموضوع بعض صفات الشباب الفذ الذي نحب أن يكون في المجتمع المسلم، فما هي؟
3. دلل على أمارات القيادة والتفوق التي بدت على محمد بن القاسم، منذ الصغر.
4. ما السبب الذي جعل الحجاج بن يوسف الثقفي يصر على فتح بلاد السند؟
5. ما الدليل على صعوبة فتح بلاد السند؟
6. كان اختيار الحجاج " ابن عمه" الصغير السن لفتح السند اختيارًا غير موفق.
7. دلل على خطأ هذه العبارة.
8. تكلم عن المحاولة الأولى غير الناجحة لفتح السند؟
9. في فتح بلاد السند كان لكل من الحجاج ومحمد بن القاسم شرط على صاحبه"

أ- اشرح هذه العبارة مبيّنًا الشرطين؟ وكيف وفَّى كل منهما بشرطه؟

ب- كان ابن القاسم ضحية الخلافات الشخصية. اشرح هذه العبارة.

10. تخيل أنك الحجاج بن يوسف الثقفي وأجب عن التالي:

أ- بماذا شعرت حين سمعت خبر أسر سفينة النساء المسلمات؟

ب- لماذا اخترت ابن عمك من أجل أن يفتح بلاد السند؟

11. تخيل أنك محمد بن القاسم، وأجب عن التالي:

أ- بماذا شعرت حين اختارك الحجاج لفتح بلاد السند؟

ب- ماذا تقول فيمن ظلموك وسجنوك وعذبوك حتى الموت.

ت- ماذا تقول لابنة الملك التي اتهمتك في شرفك ظلما وعدوانا.

12. تخيلي أنك أنتِ ابنة الملك وأجيبي:

أ- لماذا اتهمتِ محمد بن القاسم هذه التهمة الشنيعة؟

ب- ولماذا تراجعت عن اتهامِك.

13. حدد موضع الفقرات التي وردت فيها القضايا التالية:

أ- إعطاء الفرصة لقيادة الشباب واجب على أولى الأمر.

ب- تولية أهل القرابة لا إشكال فيه ما داموا أكفاء.

ت- البيئة تؤثر في نشأة الفرد.

ث- الظلم وأخذ الناس بجرائر غيرهم.

ج- ضرورة التثبت من الادعاءات.

ح- الرجوع إلى الحق واجب على الإنسان المخطئ.

خ- سبق السيف العزل!

د- للبيئة أثرها على الفرد، لا شك.

ذ- النزاعات والخلافات الشخصية تُفشل الأمة!

ر- ما أهم الدروس التربوية التي خرجت بها من هذا الموضوع؟

ز- لو طُلب منك عنوانًا آخر لهذا الموضوع، فبم تُعَـنْوِنُه؟

5- البويطي.. صبره وثباته

التعريف به.

لا يوجد في كتب التراجم والسير[118] أيّ ذكر لتاريخ ولادة البويطي، سوى أنّه ولد في قرية تدعى "بُوَيْط"، وهي إحدى قرى صعيد مصر، وإليها يعود نسبه، وقد نشأ وترعرع فيها، وتلقى تعليمه الأولي على يد شيوخها. كبرت مكانة البويطي في مصر ووهبه الله قبولًا في قلوب الخلق، وهيبة[119] عند الحكام والمحكومين، وأتباعًا من طلاب العلم ما أكثرهم، فقد كانت حلقته في المسجد أعظم الحلقات، وكان تلاميذه بعشرات الآلاف في مصر وخارجها.

ظهور بدعة خلق القرآن!

ظهرت بدعة[120] القول بخلق القرآن[121] ببغداد، على يد المعتزلة[122] الذين وجدوا ضالتهم[123] في الخليفة المأمون العباسي الذي اقتنع ببدعتهم في القول

---

118 - السير والتراجم هي إحدى أصناف العلوم الإنسانية، التي تهتم بحياة الأشخاص وأهم أعمالهم.
119 - هَيْبَةُ الرَّجُل: مَهَابَتُهُ.
120 - البِدْعَة: ماَ استُحْدِث في الدِّين وغيره على غير مثال سابق لها. ج: بِدْعات وبِدَع.
121- فتنة خلق القرآن: أو محنة خلق القرآن انتشرت في عهد الخليفة العباسي المأمون من قِبَل طائفة المعتزلة والتي تقول إن القرآن مخلوق، وكلام الله مخلوق، وهو ما ابتدع القول به الجهم بن صفوان، واقتنع بهذا الرأي الخليفة المأمون وطالب بنشر هذا الفكر وعزل كلِّ قاضٍ لا يؤمن به.
122- المُعْتَزِلَةُ: فرقةٌ من المتكلِّمين يخالفون أَهلَ السُّنة في بعض المعتقدات.
123- ضالتهم: أي حاجتهم وما يريدون.

بخلق القرآن، وعمل على إجبار الناس للقول بها. لكن لم يكن الأمر سهلا فالصالحون المخلصون من العلماء والفقهاء والمحدثين رفضوا هذه البدعة، مما دفع المأمون سنة 218 هـ إلى حمل[124] الناس على القول بها. ولكن لم يطل العمر بالمأمون فمات من عامه ذلك 218هـ، وتولى الخلافة بعده **المعتصم** وكان مشغولا بالغزو والفتوحات، ولكنه عمل بوصية المأمون وهي إجبار الناس على القول بخلق القرآن، وتوفي المعتصم سنة 227هـ.

ابن أبي دؤاد ودوره في فتنة خلق القرآن!

ثم خلف المعتصم ابنه الواثق[125] ومعه حدثت محنة[126] الإمام أحمد المشهورة، وكان أشد الخلفاء اعتناقا بهذه البدعة، ورغبة في نشرها، بسبب تأثير راعي البدعة[127] الأول القاضي "أحمد بن أبي دؤاد الإيادي[128]" عليه، فتسبب في محنة للمسلمين عظيمة. فقد استغل أحمد بن أبي دؤاد علاقته بالواثق فعمل على نشر هذه البدعة بين المسلمين بكل الطرق، حتى أنه لا يتم تعيين[129] أي عامل للدولة إلا بعد اختباره بهذه البدعة، ومطاردة كل من يقول بخلافها، وسجنه وحتى قتله!!.

124- حَمْل: إجْبار وإكراه.

125 -هو هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (232ه) خليفة عباسي من خلفاء الدولة العباسية في العراق. أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس.

126- المِحْنَةُ: البلاءُ، والشِّدَّة والجمع: مِحَنٌ.

127 - راعي الفتنة: المقصود سببها ومن سعى في انتشارها.

128 -هو قاضٍ من المعتزلة. ولد سنة 160ه نشأ في دمشق، ثم رحل إلى العراق، وهناك اتصل بالخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. واعتقد بخلق القرآن، وأقنع الخلفاء بفرض هذه الفكرة على الناس. توفي في بغداد سنة 240ه. بعد إصابته بالشلل.

129 - تعيين: توظيف.

الفتنة القديمة الجديدة!

ولعل هذه الفتنة أن تكون قديمة جديدة، ففي أيامنا هذه كثيرًا ما نرى تحكّم بعض المبتدعة الذين ينسبون لدين الله زورًا[130] وبهتانًا[131] ما ليس فيه، فيختبرون الناس فيما يقولون، فيوالون من رأى رأيهم ويرضون عنهم ويضعونهم في المناصب أو يُغدقون عليهم من العطايا والهبات من أموال العامة، ويمنعونهم من حقوقهم ويعادونهم لأنهم لا يرون رأيهم! والله المستعان.

الظلم وإساءة استخدام السلطة!

نتيجة لهذه السياسة تم تولية القاضي المعتزلي أبي بكر الأصم[132] في منصب قاضي مصر، فلما جاء مصر رأى مكانة الإمام البويطي والجموع الغفيرة التي تتبعه، وهنا علِم القاضي الأصم أن الإمام البويطي يعارض[133] تلك البدعة بل يناهضها[134] ويدعو إلى التزام الحق أن القرآن كلام الله فأسرع

130 – الزَّورُ: الباطلُ.. والزَّورُ الكَذِبُ.
131 – عُرِف بِالبُهْتانِ بيْن زُملائِهِ: بِالكذِبِ والافْتِراءِ، واِخْتِلاقِ الكذِبِ.
132 – عبد الرحمن بن كيسان الأصمّ (201ه. 279ه.) فقيه ومفسر ومتكلم معتزلي، عده القاضي عبد الجبار من الطبقة السادسة من الاعتزال، والتي وُضع على رأسها أبا الهذيل العلاف. كان جليل المقدار، يكاتبه السلطان، وكان صبوراً على الفقر، منقبضاً عن الدولة، وكان يصلي خلفه في مسجده في البصرة ثمانون شيخاً من علمائها، وهو أحد من له الرياسة في حياته.
133 – يُعارض: يرفض.
134 – يناهض: يقف ضدها ويحاربها.

بإبلاغ بن أبي دؤاد، فكتب ابن أبي دؤاد إلى والي مصر وأمره بامتحان البويطي[135] على خلق القرآن فإن أجاب وإلا وضعه في السجن.

البويطي أمام الوالي!

وجاءت الرسالة للوالي الذي كان محبا للبويطي، معظما لعلمه وورعه، ويكره أن يكون سببا في سجنه، فأرسل اليه يستدعيه، ولما مثُل[136] البويطي بين يدي الوالي، أمر الوالي بإخلاء المكان من المتواجدين تماما ثم قال للإمام البويطي سرًّا بالأمر، وقال له: "يا أبا يعقوب أَبْقِ على نفسك، وقل بالأمر سرًّا بيني وبينك، فأنا لا أملك مخالفة ابن أبي دؤاد، وأنت تعلم مكانه من الواثق" ولكن الإمام البويطي ليس الذي يترخص أو يستخدم (التَّقِيَّة[137]) ولا يداهن[138] في دينه، ولا هو مَن يترّخص[139] لنفسه ويكون سببا في إفساد دين الناس فهو يعلم دوره كعالم وشيخ وداعية ومكانته والتكليف الشرعي له بتبيان الحق في وقته ولو كلفه ذلك روحه. فقال للوالي بصوت مسموع هادئ: "إنه يقتدي بي مائة ألف أو يزيدون، لا يدرون أني أتظاهر فقط بالموافقة، وإن أجبتك أنا لما تقول، أجابوا هم أيضا".

---

135 – المقصود يسأله عن خلق القرآن فإن قال بها نجا، وإن خالفها سجنه وربما قتله.

136 – مثل: وقف وحضر.

137 – التَّقِيَّة: هي تجنب العدو بإظهار ما يوافقه مع إضمار ما يخالفه من عقيدة ونحوها.

138 – مُدَاهَنَةُ الْمَسْؤُولِينَ: الْمُلاَيَنَةُ، الْمُدَارَاةُ.

139 – ترخَّص الشَّخصُ في الأمور: تساهل فيها، أخذ فيها بالرُّخصة.

إهـانة العلماء الثقاة ذنب عظيم!

فاحتار الوالي الذي كان يُحبّ البويطي ويقدّره، ولكن الخبر وصل لطاغية بدعة خلق القران ابن أبي دؤاد، فأمر على وجه السرعة بحمله إلى بغداد، لكن مع إهانة الشيخ الوقور العالَم الربّاني البويطي، فأمر بضربه وترهيبه أولًا وإن لم يستجب فليغلله[140] بالحديد الثقيل، وليوثق رباطه حتى يكون عبرة للجميع!! وكان ذلك سنة 233هـ.

حين يبلغ إيذاء الصالحين مبلغه!

وما إن وصل الشيخ البويطي بغداد حتى سجنه في سجنها بعد استجوابه ورفض البويطي إجابته لبدعته، وصبر على سجنه وضربه وإهانته ولكنه لم يَلِن في الحق، وظلّ ثابتًا على المبدأ الحق وإن كان في هذا ستُزهق روحه[141]. وهنا يصف لنا الربيع بن سليمان هذا المشهد من هذا العالِم فقال: "رأيت البويطي على بغل، في عنقه غِلّ وفي رجليه قيد، وبين الغُلّ والقيد سلسلة من حديد فيها طوبةٍ وزنها حوالي أربعين رطلًا، وهو يقول: إنما خلق الله – سبحانه – الخَلْقَ (بِكُنْ)، فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقًا خلق مخلوقًا، ووالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن أُدخِلتُ عليه لأصدقنه يقصد الخليفة الواثق. قال الربيع: وكتب إليَّ البويطي وهو في السجن إنه ليأتي عليَّ أوقاتٌ ما أُحُسّ بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خُلُقك

140– غَلَّلَ عُنُقَهُ أَوْ يَدَهُ: وَضَعَ فِيهَا الْغُلَّ، الْقَيْدَ.

141 – يقصد: سيموت وتفارق روحه الحياة.

مع أهل حلقتك، واستوص بالغرباء خاصة خيرًا، فكثيرا ما كنت أسمع الشافعي يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولا تُكرم النفسُ التي لا تُهينها

في صبر الصالحين على المحنة لنا آيـــة!

انظروا لهذا الإمام العالم الرباني، فها هو يُحمَل من الفُسطاط (القاهرة الآن) إلى بغداد على بَغلٍ وهو مقيّد بالقيود والأغلال في يديه ورجليه، في رحلة تمتد أسابيع ومع هذا لم يهتَزّ ولم تَلِنْ له قناة، ولم يخضع لهم فيما يريدون، ولم يترخص لنفسه رغم طول المسافة، وشدة العذاب الذي عذبوه له ومدى إهانتهم له. لكنه العلم الذي يقترن به العمل، إنه العالِم الذي لا يخشى إلا الله، فهو لا يخاف على منصب ولا يخاف من صاحب منصِب، بل ظل يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فكان معلمًا مربيًّا واعظًا لكل من يمرّ عليه من المسلمين.

مكر أهل الباطل! وثبات على الموقف.

فلما بلغ ابن أبي دؤاد مدى ثباته وإصراره وما فعله وقاله حتى وصوله لبغداد وأنه لم يتراجع أبدًا عما هو عليه، اشتد غضبه عليه، فلم يمتحنه بسؤال بدعة خلق القرآن مثلما فعل مع غيره، ولم يدخله على الخليفة كما حدث مع غيره من كبار العلماء خشية من قوته في الحق وثباته أن يقنع الواثق بالحق، فقد كان البويطي معروفًا في هذا الوقت معلوما للناس أنه من أعلم أهل الأرض وأكثرهم فقها. فأمر ابن أبي دؤاد بإلقائه في غياهب السجون مباشرة.

الثبـــات على الموقف رغم التعذيب!

ظل البويطي في ظلمة السجون لشهور عديدة، ولكنه لم يَلِنْ ولم يُداهِن ولم يَتَرخّص بل كان مثالا للعالم الرباني، الصابر الصامد الثابت على الحق فشغل نفسه أيام سجنه بكثرة الصلاة والذكر والعبادة والقراءة والتضرع، وتعليم المساجين، وكان اللافت في السجن أنهم كانوا يرسلون إليه من يناظره ليرجع عن الحق فكانوا يستسلمون له ويقولون بقوله ويتركون ما هم عليه، مما زاد غضب ابن أبى دؤاد عليه فكان يشدد عليه في سجنه إيذاءً وتعذيبًا.

من أمارات الورع والإيمان والفقه!

رُوِيَ أن البويطي وهو في السجن كان إذا سمع المؤذن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب الحبس فيقول له السجان: أين تريد؟ فيقول: حيث داعي الله. فيقول له السّجّان: ارجع عافاك الله. فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني!! فما هذا الإيمان؟ ما هذا اليقين؟ ما هذا الفقه؟ إنه ثباتٌ وإيمانٌ عجيب.

الثبات على الحق، وتشديد العذاب والإيذاء!

أدى ثبات الرجل على الحق وعدم خضوعه لما يريد ابن أبي داؤد إلى مما زاد في غضبه وحقده واشتعال غلِّه عليه، فأمر بتشديد الأغلال والقيود عليه، فلفوه كله بالحديد، حتى لم يعد قادرا على الحركة إلا بصعوبة كبيرة. فأثّرَ ذلك التشديد في نفسية الإمام البويطي تأثيرًا كبيرا بسبب أنه منعه من الأنس وحلاوة تذوق الإيمان بالصلاة وقيام الليل والعبادات، وعلى الرغم من ذلك لم يتراجع ويخذل الحق فكان الإمام يعاني من صعوبة بالغة في الحركة ودخول الخلاء والتطهر للصلاة.

رسالة الصالحين المصلحين!

وقد كتب رسالة مؤثرة بسبب عدم استطاعته الصلاة وليس بسبب سجنه أرسلها من محبسه إلى الإمام الذهلي وهو من كبار علماء الحديث في خراسان واصفًا حاله، فكتب له يقول: "يا أبا يحيى قل لإخواني أصحاب الحديث، وطلبة العلم أن يدعو الله تعالى أن يفك كربتي، فلقد كبلوني بالحديد حتى أني لم أعد أتطهر وأصلّي كما ينبغي، عسى الله أن يفرج عني ما أنا فيه بدعائهم". فلما قرأ الإمام الذهلي الرسالة على المجلس بكى وبكوا جميعا وضجوا له بالدعاء.

موت واستشهاد في سبيل الحق!

ظل البويطي ثابتا مؤمنا راضيا بقضاء الله يدعو الله أن يخلصه من هذا الكرب العظيم بعد أن عجز عن الحركة ودخول الخلاء والصلاة من كثرة القيود والأغلال وثِقَلها، وسرعان ما جاء الفرج، من عند رب السماوات والأرض، وأخرجه الله – عز وجل – من سجن الدنيا التي لاقى فيها من أهلها الظلم الكبير إلى الراحة الأبدية، إلى جنات عرضها السماوات والأرض – فيما نحتسبه عند الله ولا نزكي على الله أحدًا. مات الإمام البويطي في محبسه وقيوده وأغلاله، وكانت وصيته أن يدفن في قيوده لا تفك عنه، ليخاصم أعداءه أمام الله تعالى يوم القيامة، نعم، مات البويطي في السجن ولكنه مات عزيزًا منتصرًا لله ولدينه وللحق، وعاش خصومه في ذُلّ وغضب من الله.

- من الدروس التربوية الخالدة
- ألا فَلْنَعْلَـــم جميعًا!

1. أن العلم ليس كتابا فقط يقرأه العالِم، ولا شُهرةٌ وسعادة بالأتباع التابعة على غير بصيرة، إنما علمٌ يقترن بعمل يعمل به العلماء الربانيون ليكونوا منارة لعباد الله في ظلمات الجهل والقهر والنفاق فينيروا لهم الطريق بالثبات على الحق غير مبالين بضغوط ولا إغراءات.

2. ليس من المذلة في شيء أن يموت صاحب الحق في السجن، بل كل العزة في ثباته على الحق في السجن أو مطاردا من الظالمين، أو مهاجرًا إلى الله في أرضه طالما أنه على الحق.

3. بل كل المذلّة والخزي والعار أن يموت الإنسان وهو خائن لدينه وأمته والحق الذي كلفه الله باتّباعه وإظهاره للناس، وأن يكون عونا للظالمين.

رحم الله البويطي، ومَن سار في طريق الحق، ولم يَلِن ولم يترخّص ولم يداهن أو ينافق، وجمعنا الله به مع سيد الشهداء حمزة ومع نبينا محمد ﷺ والحمد لله رب العالمين.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. بئس الخلق الخيانة.
2. أفضل العلماء هم العاملون المخلصون.
3. أفضل الجهاد كلمة الحق في وجه الظالمين.

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

تدريبات الاستيعاب

1. ما أمارات مكانة البويطي الكبيرة في مصر؟
2. كيف كان يستغل الحكام فتنة "خلق القرآن" في التنكيل بالعلماء المخالفين لآرائهم؟
3. ارجع إلى الموضوع واشرح "ماذا يقصد بهذا العنوان" الفتنة القديمة الجديدة؟
4. فيما قرأت: أعط مثالا على إساءة استخدام صاحب السلطة وظلم الناس؟
5. "يا أبا يعقوب أَبْقِ على نفسك، وقل بالأمر سرًّا بيني وبينك، فأنا لا أملك مخالفة ابن أبي دؤاد، وأنت تعلم مكانه من الواثق"
   أ. من القائل؟ ومن المستمع؟
   ب. ما الموقف الذي قيلت فيه هذه العبارة؟
   ت. ما رأيك في تصرف القائل؟
   ث. وبم رد المستمع؟ ولماذا؟
6. "فاحتار الوالي الذي كان يُحبّ البويطي ويقدّره، ولكن الخبر وصل لطاغية بدعة خلق القرآن"
   أ- لماذا احتار الوالي؟ ومن هو طاغية بدعة خلق القرآن؟
   ب- كيف تشابهت محنة الإمام "البويطي" مع فتنة الإمام "السرخسي"- استعن بمعلمك.
7. اقرأ ثم أجب: "ولكن الإمام البويطي ليس الذي يترخص أو يستخدم (التَّقِيَّة ولا يداهن في دينه، ولا هو مَن يترخّص لنفسه ويكون سببا في إفساد دين الناس فهو يعلم دوره كعالم وداعية ومكانته والتكليف الشرعي له بتبيان الحق في وقته"

أ- ما المقصود بالتقية؟ وما مضاد يترخص؟

ب- حدد الصفات التي اتصف بها الإمام البويطي في هذه الفقرة؟

ت- هل تعلم عالمًا من المعاصرين يتشابه مع الإمام البويطي في هذه الصفات؟

8. صف لنا ملخصا مشهد القبض على الإمام البويطي، ثم اذكر لنا بم شعرت حين قرأته؟

9. إلام لجأ الإمام البويطي "حين اشتد عليه وطأة التعذيب والأغلال"؟ وعلام يدل ذلك؟

10. من السنن الحسنة طلب الدعاء من الصالحين؟ هل هناك أثر نبوي في هذا؟

11. "كان إذا سمع المؤذن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب الحبس فيقول له السجان: أين تريد؟

أ. من هذا الرجل؟ ولماذا كان يفعل ذلك؟

ب. بماذا كان يرد الشيخ على الحارس؟

12. وردت في الموضوع بعض الدروس التربوية. لخصها، واذكر أشدها تأثيرًا عليك.

13. تخيل أنك قابلت الأشخاص الآتي أسماؤهم، ماذا تقول لكل منهم:

أ. الإمام البويطي.

ب. الإمام الذي كان يحب البويطي ولا يريد إيذاءه.

6- القفَّال الصغير وطلب العِلم كبيرًا

التعريف به.

إذا تكلمنا عن القفّال فلا بد أن نعرف أن هناك ثلاثة من فقهاء الشافعية كل واحد منهم لُقّب بالقفال. وأما شخصيتنا فهو القفال الصغير أبو بكر عبد الله بن أحمد المروزي الفقيه، فقد ولد سنة 327 هجرية، وتوفي سنة 417 هجرية، عن عمر 90 سنة، بموطنه مدينة مرو[142] إحدى أشهر مدن دولة (تركمنستان الآن). قال عنه تاج الدين السبكي[143] في طبقات الشافعية: هو الإِمَام الزاهد الجليل البحر أحد أئمة الدنيا في زمانه.. وهو من أعظم محَاسِن خُرَاسَان، كان إِمَامًا كَبِيرا، وبحرا عميقا، غوَّاصا على الْمعانِي الدقيقة، نقي القريحة[144]، ثاقب الْفَهم، عَظِيم الْمحل، كَبِير الشَّأْن، دَقِيق النّظر، عديم النظير[145].

---

142 – مَرْو أو كما تعرف قديمًا بمرو الكبرى؛ أو مرو الشاهجان تمييزًا لها عن مرو الروذ وهي الآن عاصمة منطقة ماري في تركمانستان.

143 – أبو نصر تاج الدين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي فقيه شافعي، ومؤرخ عربي وقاضي القضاة في دمشق، انتقل إلى دمشق مع والده الفقيه تقي الدين السبكي وهو صغير فسكنها وعاش حياته وأصبح من أشهر القضاة في دمشق (727-771ه). توفي به.

144 – القَرِيحَة: مَلَكَةٌ يستطيعُ بها ابتداعَ الكلام وإِبداءَ الرأي.

145 – عديم النظير: لا مثيل له.

القفّال وطلب العلم.

هذا العلاّمة الكبير الذي لُقّب بالشافعي الصغير لكثرة علمه، ودقة فهمه وجزالة ألفاظه[146]، وقوة حجّته[147]، يا ترى متى طلب العلم حتى وصل لهذه الدرجة الكبيرة؟ يقول ياقوت الحموي: "وكان ابتداء اشتغاله بالفقه على كِبَر السن، حدثني بعض فقهاء مرو أن القفّال الشاشي (الكبير) صنع قفلًا ومفتاحًا وزنه دانق واحد (حوالي نصف كيلو جرام) فأعجب الناس به جدّا وسار ذكره وسارت به الرُّكبان، وبلغ خبره إلى القفّال المروزيّ (الصغير) هذا فصنع قفلًا مع مفتاحه وزنه طسّوج (تقريبًا 100 جرام) وأراه الناس فاستحسنوه وأقبل عليه البعض، لكن لم يكن له ذكر بين الناس مثل قفل القفّال الكبير (كان هذا في آخر حياة القفال الكبير). فقال يومًا لبعض من يأنس إليه: ألا ترى كلّ شيء يفتقر إلى الحظّ؟ انظر: عمل الشاشي قفلًا وزنه دانق وطنّت به البلاد، وعملت أنا قفلًا بمقدار رُبعه وما ذكرني أحد! فقال له صاحبه: أتظن أن الناس ذكروا القفّال بسبب قفله؟ لا وإنما ذكروه لعلم صاحبه، فإنما الذكر بالعلم لا بالأقفال! فوقعت هذه الكلمة من قلبه موقعاً فكانت سبباً أن يطلب العلم ويصل لهذه الدرجة العلمية الكبيرة.

فما أن سمع صاحبنا القفّال المروزي هذه الكلمة الطيبة من هذا الرجل حتى هبّ من ساعته لطلب العلم وكأنه تمثّل قول رسولنا – صلى الله عليه وسلم – في حديث أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ وملائِكتَهُ، وأهلَ السمواتِ والأرضِين، حتى النملةَ في جُحْرِها، وحتى الحوتَ، ليُصَلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرَ**» أي – يدعوا له

---

146 – جزَالة الألفاظ: متانتها وعذوبتها في الفم ولذاذتُها في السَّمع.

147 – الحُجّة: الدَّليل والبُرْهان. ج: حجج.

ويستغفرون لـ **«معلِّمِ الناسِ الخيرَ»** بسبب الخير الذي علَّمه للناس. فانظر إلى التغيير الكوني الهائل لهذا الذي يُعلّم الناس الخير، كل المخلوقات وقبلهم الله -عز وجل- والملائكة يدعون لهم.

وكأنه تمثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: **«الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها، إلَّا ذِكرُ اللهِ وما والاهُ، أو عالِمًا، أو متعلِّمًا»**. وحديث أبي هريرة أيضًا: **«مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ»**. وقول ابن مسعود – رضي الله عنه -**"اُغدو عالمًا أو متعلِّمًا ولا تغدو إمَّعةً بين ذلك" إمَّعة** أي إنسان ليس له رأي، لا يتعلَّم ولا يُعلِّم، ويتبع كل ما يقال له بدون تحقُّقٍ أو نظرٍ أو تدقيق.

ولـــنـــا معه وقفة!

من المُهِم جداً أن الإنسان يحافظ على لسانه وكلامه فرُبّ كلمةٍ طيبة جعلت من سامعها عالمـًا كبيراً، أو حاكمـًا أو أميراً، وبالتالي سيكون لقائلها نصيب من هذا الخير ومن هذا الأجر، وعلى النقيض رُبّ كلمة سيئةٍ جعلت سامعها أكبر عدوٍّ للإسلام والمبادئ والقيم والأخلاق، ومن ثم يكون على قائلها كفلٌ من إثم سامعها.

نصيحة المعلم ونتيجة الأخذ بها.

ومما لا ينساه إمامنا القفال أنه ذات يوم قال له أحد أشياخه ناصحًا بعد أن تهكم أحد الناس على علمه وعمله. يا أبا بكر: لا يصدّنّك هذا عن الاشتغال بالعلم، فإنك إذا لازمت الحفظ وأكثِر من الاشتغال به صار لك عادة، فجِدّ واجتهد ولازِم الاشتغال بالعلم. فأخذ أبو بكر القفّال الصغير بهذه الوصية ووصل إلى أن صار عالِم زمانه وفريد عصره، حتى كان منه ما كان حتى قيل

عاش ثمانين سنة أربعين جاهلا وأربعين عالما، وقال أبو المظفّر السمعاني: عاش تسعين سنة ومات سنة 417هـ.

القفال وبداية طلب العلم

وعن بدايته في العلم يقول الشَّيْخ أَبُو مُحَمَّد الجويني (والد الجويني إمام الحرمين): سمعت الْقفال يَقُول ابتدأت التَّعَلُّم وَأَنا لَا أفرق بَين اختصرتَ واختصرتُ. قَالَ ابْن الصّلاح أَظن أَنه أَرَادَ بِهَذَا أنه لم يكن يدري من اللِّسَان الْعَرَبِيّ مَا يفرق بِهِ بَين ضم تَاء الضَّمِير وَفتحهَا! وهنا نقول لكلّ طالب علم، وكلّ مَن يقول فاتني قطار الطلب لكِبَر سِنّي، أو لانشغالي بأعمالي الحياتية، ولكلّ مَن يقول أنا سيئ الحفظ وذاكرتي ضعيفة، لا أستطيع الحفظ ومن ثم الأفضل لي أن أترك طلب العلم. أقول لنفسي ولكم اقرأوا سيرة القفّال الصغير وغيره من علماء الأمة كابن حزم وغيره، وسأذكر جزءاً من حياة القفّال وما قاله العلماء الكبار عنه.

قالوا عن القفَّال الصغير

- وصف ابن خلكان[148] في كتابه (وفيّات الأعيان) القفّال المروزي قائلاً: (كان وحيد زمانه فقهـاً وحفظـاً وورعـاً وزهداً، وله في مذهب الإمام الشافعي من الآثار ما ليس لغيره من أبناء عصره، وتخاريجه كلها جيدة وإلزاماته لازمة).

148 - قاضي القضاة شمس الدين بن خَلِّكَان هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان يكنى «أبا العباس» (608هـ- سنة 681ه) مؤرخ وقاض وأديب يعد من أعلام مدينة دمشق، وهو صاحب كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان وهو أشهر كتب التراجم العربية، ومن أحسنها ضبطا وإحكاما.

– قَالَ الفقيه ناصر بن الحسين العُمَرِيُّ (القفَّالُ من كبار العلماء، ومن الزهَّاد[149]، ولم يكن في زمان أَبِي بَكْر القَفّال أفقه مِنه ولا يكون بعده مثلُه، وكنا نقول: إنّه مَلَكٌ في صورة إنسان).

– قال أبو بَكْر السّمْعانيّ في "أماليه": وحيد زمانه فِقْهًا وحِفْظًا وَوَرَعًا وزُهدا، وله في المذهب مِن الآثار ما لَيْسَ لغيره مِن أهل عصره. وطريقته المهذَّبة في مذهب الشّافعيّ الّتي حملها عَنْهُ أصحابه أمتنُ طريقة وأكثرها تحقيقًا.

– وحكى القاضي حسين بن محمد عَنْ القفّال أستاذه أنّه كَانَ في كثير مِن الأوقات في الدّرْس كثير الُبكاء. وكان يرفع رأسه ويقول: ما أغْفَلُنا عمّا يُراد بنا.

– لم يترك صنعته حتى بعد أن صار من أكابر العلماء، ولهذا كان لا يأخذ شيئًا من ديوان السلطان (محمود الغزنوي): احتسب بعض الفُقهاء المختلفين إلى القفّال عَلَى بعض أتباع الأمير والي مَرْو، فرفع الأميرُ ذَلِكَ إلى محمود بْن سُبُكتكين فقال: أيأخذ القفّال شيئًا مِن ديواننا؟ قَالَ: لا. قَالَ: فهل يتلبّس بشيءٍ مِن الأوقاف؟ قَالَ: لا. وإنما يأكل من صنعته قَالَ: فإن الاحتساب لهم سائغٌ. دَعْهم.

– وحكى القَاضِي حُسَيْن – رَحمَه الله – بعضـًا من ورعه وحكمته قَالَ: كنت عِنْد الْقفال، فَأَتَاهُ رجل قروي وشكا إِلَيْهِ أَن حِمَاره أَخذه بعض أَصْحَاب السُّلْطَان، فَقَالَ لَهُ الْقفال: اذْهَبْ فاغتسل، وادخل الْمَسْجِد، وصل رَكْعَتَيْنِ، واسأل الله تَعَالَى أَن يرد عَلَيْك حِمَارك، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَرَوِي كَلَامه، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقفال، فَذهب الْقَرَوِي فاغتسل، وَدخل الْمَسْجِد وَصلى، وَكَانَ الْقفال قد

149 – الزهد: ترك ما في الدنيا ابتغاء ما عند الله وأن يكون المرء بما عند الله أرجى منه مما هو في يده.

بعث من يرد حِمَاره، فَلَمَّا فرغ من صلَاته رد الْحمار، فَلَمَّا رَآهُ على بَاب الْمَسْجِد خرج وَقَالَ: الْحَمد لله الَّذِي رد عَليّ حماري، فَلَمَّا انْصَرف سُئِلَ الْقفال عَن ذَلِك، فَقَالَ: أردْت أَن أحفظ عَلَيْهِ دينه كي يحمد الله تَعَالَى.

- قال تاج الدين السبكي: كان القفال المروزي هذا من أعظم محاسن خراسان، إماماً كبيراً، وبحراً عميقاً، غوّاصاً على المعاني الدقيقة، نقيَّ القريحة ثاقبَ الفهم عظيمَ المحل كبيرَ الشأن دقيقَ النظر عديمَ النظير فارساً لا يُشق غبارُه[150] ولا تُلحق آثارُه بطلاً[151] لا يصطلي له بنار أسدًا ما بين يديه لواقف إلا الفرار[152].

- اشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به، منهم الشيخ أبو علي السنجي (فقيه العصر) والقاضي حسين بن محمد (حبر المذهب) (هذان هما أجلُّ تلامذة الشيخ) والشيخ عبد الله أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين (أبي المعالي عبد الملك الجويني) وغيرهم، وكل واحد من هؤلاء صار إماماً يشار إليه، ولهم التصانيف النافعة ونشروا علمه في البلاد، وأخذه عنهم أئمة كبار أيضاً. (قال السبكي: فظهرت بركته على مختلفيه). وتفقه عليه جماعة، وعاش تسعين سنة كانت حافلة بالعطاء والعلم والتعليم، وتوفي بسجستان.

فوائد من حياة القفّال.

إن ابتداء طلب العلم ليس له سنٌّ معين فمهما كَبُر سنُّك لا تستحي ولا تخجل من نفسك، وها هو القفّال وقد بلغ الثلاثين من عمره، وصار- كما قال عنه العلماء- وحيد زمانه فقهاً وحفظاً وزهداً، وكان معتمد المذهب في

---

150 - لاَ يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ: لاَ مَثِيلَ لَهُ، مِنَ الصَّعْبِ التَّفَوُّقُ عَلَيْهِ.

151 - يقصد أن علمه صحيح ثابت أبد الدهر.

152 - يقصد قدرته على محاجة الناس وغلبتهم.

بلاده، وله مؤلفات كثيرة وتخاريج جيدة، حتى أنه إذا أطلق اسم القفال في كتب الفقه فهو المقصود.

وكان القفَّال الصغير لا يعمل ولا يعرف شيء في حياته إلّا الأقفال، ولم يكن له أي علاقة بعلوم الشريعة ولا بعلوم الفقه ولا غير ذلك من علوم بالدين كغيره ممن هو مسلم عادي لا يعرف من الدين إلا ما يقوم به من الأعمال من العبادات والأركان الطبيعية العادية، ولم يكن متخصصًا في علوم الشريعة، لكنه عَلَتْ همّته نحو قمة العلم، وسَمَت نفسه إلى المعالي، فوصل إلى القمة في العلم حتى قالوا عنه أنه وحيد زمانه في الفقه.

كما كان من الممكن للقفَّال الصغير أن يكون كغيره من عوامّ الناس، ولسان حاله ومقاله يقول: "أنا كبُرت وصار عمري ثلاثين أو أربعين سنة وأنا لا أُحسِن إلّا صناعة الأقفال ولا أعرف شيئًا عن العلوم" ومن ثم يبقى بقية عمره على حالته هذه، ولا أحد يسمع عنه ولا يعرفه الناس، ويموت أجرُه وذِكْرُه بموته، كما يموت الكثير والكثير من الناس، لكنه أبى إلا أن يبقى أثره ولا ينقطع بموته أجره وينتفع الناس بعلمه، وهكذا كان رحمه الله، فغيّر مسار حياته بعد هذه السنّ وتوجه إلى طريق العلم والرِّفعة في الدنيا والآخرة، وكان له ما أراد في دنياه ونحسب أن سيكون له عند الله الأجر العظيم والثواب الجزيل في الآخرة جزاء ما قدّم من خير للإسلام والمسلمين. ولذا أقول لكل مَن كانت بدايته كبداية القفّال ما المانع أن تغير مسار حياتك حتى تكون نهايتك كنهاية القفّال؛ والعمر ما زال أمامك طويل، فقط اعزِم وتوكل على الله واستعن بالله ولا تعجز.

ويجب أن نعلم بل ونؤمن أن تغيير الإنسان منا مسار حياته بقرارٍ معين – طبعًا فيما يعود بالنفع عليه ودينه وأمته – هذا التغيير لا يرتبط بسنٍّ معين أو بظروف جيدة، بل يجب على الإنسان أن يبدأ متى رأى ذلك مناسبًا

له بعد استخارة واستشارة مَن يثق فيهم من أهل الفضل والصلاح، وليتذكر دائمـاً أن الله لا يضيع أجر مَن أحسن عملاً.

ولا داعي أبداً لإنسانٍ إكمال مسيرته العلمية أو العملية في طريق هو لا ترغب فيه، أو لا يستطيع النبوغ والإبداع فيه، أو حتى لا يجد نفسه فيه - بشرط أن يكون متيقنـاً أو غلب على ظنه هذا- بعد الأخذ بالأسباب وإفراغ الجهد فيما هو عليه قبل تغيير مساره، وهذا ما حدث مع القفّال رحمه الله.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. اُطلب العلم مهما كنت كبيرًا.
2. يمكن لكلمة خير واحدة أن تغير حياة إنسان إلى الأفضل، والعكس صحيح.
3. نصيحة المعلم في العلم والخير قد تُخرج عالمًا أو قائدًا أو شابا صالحًا.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

أسئلة للاستيعاب

1. "إنما الذكر بالعلم لا بالأقفال"

أ- من قائل العبارة؟ ولمن قيلت؟

ب- ما المناسبة التي قيلت فيها هذه العبارة.

ت- ما رأيك أنت في هذه العبارة. وضح.

2. كم من أحاديث النبي ﷺ التي ذكرت في هذا الموضوع؟ اذكرها.

3. رب كلمة غيّرت حياة إنسان، بل أمّة. كيف تدلل على صدق هذه العبارة؟

4. ما النصيحة التي نصحها المعلم للشيخ القفال؟ وهل أخذ بها؟

5. وكيف كانت نتيجة الأخذ بها في حياته؟

6. "سمعت الْقفال يَقُول ابتدأت التَّعَلُّم وَأَنا لَا أفرق بَين اختصرتَ واختصرتُ"

ث- من قائل العبارة؟ وماذا تعني؟

ج- ما رأيك في أن يبدأ الإنسان رحلة علمه صغيرا؟

ح- ما رأيك في أن يبدأ الإنسان رحلة علمه كبيرًا؟

خ- ماذا نتعلم نحن من بداية الشيخ القفال رحلة علمه وهو كبير؟

7. قيل عن القفال الكثير من العبارات والأقوال: ما التي أعجبتك فيها؟ ولماذا؟

8. ارجع إلى الموضوع واشرح العبارات التي وردت على ألسنة العلماء:

9. لا بد للإنسان أن يحترف عملا حتى مع الاشتغال بالعلم.

10. دلل على صدق هذه العبارة من سير الأنبياء والصالحين.

11. دلل على بعض أمارات ورع الإمام "القفال".

12. اذكر ما قاله كل من الأئمة (ناصر بن الحسين العُمَرِيُّ، وأبو بَكْر السّمْعانيّ في "أماليه، والقاضي حسين بن محمد) عن القفال.

13. ذكرت في هذا الموضوع الكثير من الفوائد التي يمكن أن تنفع الإنسان. برأيك ما أهم هذه الفوائد التي استفدت منها أنت؟ ولم اخترتها دون غيرها.

7- سلجوق بن دقاق وقرار الإسلام

التعريف به.

هو قائد قبيلة من قبائل الغز الأتراك ومؤسِّس نواة الدولة السلجوقية العظيمة. وكان له من الأبناء أربعة، هم: ميكائيل ويونس وموسى وأرسلان. ومن المعروف أن تسمية «السلاجقة» أُطلقت على جماعةٍ من التُرك المُنحدرين من قبيلة «قنق» الغُزيَّة، المنتمين إلى جدٍّ هو سَلْجُوق بن دُقَاق المعروف بـ«تيمور يلغ» أي «ذي القوس الحديد».

جهاد سلجوق وأبناؤه في سبيل الإسلام.

تعتبر قبيلة قنق من أوائل القبائل الغزية التي اعتنقت الإسلام، وقد حارب سلجوق وقبيلته قبائل الترك الوثنية وأزال سيطرتها على سكان وادي نهر سيحون[153]. وبعد وفاة سلجوق بن دقاق ورث أولاده الحكم وقد اتبعوا سياسات والدهم في محاربة كفار الأتراك وحموا سكان المسلمين من ظلمهم. وقد زادت قوة دولتهم وزادت رقعة الأراضي التي يهيمنون عليها ونتيجة لذلك قد كسبوا احترام الحكام المسلمين لهم. وقد حارب أحد أبنائه وهو ميكائيل بن سجلوق بعض من بلاد كفار الترك وانتصر في كثير من حروبهم حتى وقع شهيدًا في سبيل الله. وقد قاد من بعده ابنه طغرل بك السلاجقة وسيطر على مناطق أكثر حتى اتصل بالخلافة العباسية في بغداد

153 - نهر سيحون هو أحد أنهار وسط آسيا وأحد أكبر نهرين في أوزبكستان. يبلغُ طولُ نهر سيحون من منبعِهِ إلى مصبِّه 2700 كيلومتر، يجري خلالها عبر ثلاث جمهوريات إسلامية، وهي: قرغيزستان، ثم أوزبكستان، ثم كازاخستان. ينبعُ هذا النهرُ من مرتفعاتِ الشمالية في جمهورية قرغيزيا.

وكانت تلك أول عهد للسلاجقة الأتراك في المشرق العربي، ولذلك تعتبر بعض المصادر طغرل بك ابن ميكائيل (حفيد سَلْجُوق) هو المؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة.

سلجوق بن دقاق والجهاد بعد الثمانين؟!

لِنَعُد لحديثنا عن هذا الرجل العظيم (سلجوق بن دقاق) نجد أنه رجل بدأ حياته الحقيقية بعد أن بلغ الثمانين من عمره، وهو السنّ الذي من الممكن أن يتخيل أي إنسان أنه لا فائدة من أي عمل له ولا يفكّر بأي شيء ينفعه أو ينفع مَن بعده، وأنه قد أدى ما عليه، ومن ثم فعليه فقط أن يستعد للموت! هذا على أفضل أحواله إن كان ممن يفكرون في الآخرة!

إلا أن بطلنا قد أسس في التاريخ الإسلامي دولة للإسلام عظيمة حكمت المسلمين حوالي مائتين وسبعين سنة؛ أي قرابة الثلاث قرون، وكانت على مساحاتٍ واسعة ضخمة، من حدود الصين إلى الشام، بما فيها آسيا الصغرى؛ مساحات من الأرض كبيرة هائلة ودولة مترامية الأطراف راسخة، كل هذه الأراضي الذي أسسها ووضع بذرتها هو هذا العملاق العظيم (سلجوق بن الدقاق) وعمره أكثر من ثمانين سنة أي في أواخر عمره، وقبل ذلك وفي أوائل عمره كان أحد قادة الجيش في دولة الترك الوثنية كانت على الديانة البوذية[154] وغيرها من الديانات الوضعية المنتشرة في غرب الصين - آنذاك - في غرب الصين.

154 - البوذية هي ديانة دارميَّة وتعتبر من الديانات الإنسانية الوضعية الرئيسية في العالم، حيث تعتبر رابع أكبر ديانة في العالم بعد المسيحية والإسلام والهندوسية. ويصل تعداد أتباعها إلى أكثر من 520 مليون نسمة، أي أكثر من 7٪ من سكان العالم.

مفارقة.. أصحاب الثمانين في أيــامنا!!

ومن المفارقات العجيبة أننا لو نظرنا الآن في زماننا نجد أن البعض في مثل هذه السنّ المتأخرة، ونظرًا لما يجدونه من الفراغ الكثير في أوقاتهم بعد أن كان قبل ذلك عنده من العمل الكثير، نجده ربما يدخل بعضهم أحيانًا في حالة من الاكتئاب لأنه كان في وظيفة، والآن خرج على المعاش[155] مثلًا أو ترك العمل، وهذا للأسف لوجود وقت طويل عنده وهذا الوقت ضائع، فماذا يفعل لملء هذا الفراغ الذي عنده؟ فهو يقضي أغلب وقته على المقاهي في ألعاب لا تعود عليهم ولا على مجتمعه بالنفع، في حين أن الأصل عند كبير السن هذا أن عنده من الأعمال الكثير والكثير فيما ينفعه وأسرته ومجتمعه، بل عنده فرصة كبيرة للاستفادة من بقية عمره وهو مقبل على ربه.

الأحقاد آفة كل الأزمنة! وقد يأتي الخير من الشر.

كان سلجوق القائد الأكبر لجيش الدولة السلجوقية، وذات يوم حدثت فتنة في بلاط المَلِكِ ووُشِيَ به عنده، ورأى أنه إن بقي فإن الملك سيقتُله فخاف على نفسه وهرب بعائلته التي كانت عبارة عن مائة فارس بزوجاتهم وأطفالهم وأخذ معهم كل ما يملكون من شياهٍ وغيرها، وانطلق ناحية الغرب خارج حدود الصين وبلاد الترك التابعة لها، وكان عمره وقتئذٍ سبعة وستين سنة، في سنة 359ه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، حتى وصل إلى مدينة من المدن الكبرى اسمها جند، - الآن في دولة كازاخستان -؛ فاستقر بها وكان هو وعائلته على الديانة البوذية!

---

155 - المقصود في بلادنا بلغ سن التقاعد وصار يحصل على المرتَّب الذي يتقاضاه الفرد بعد أن قضى مدَّة معينة في خدمة الحكومة عند انقطاعه عن العمل.

استقر في مدينة جند هذه ولحسن الطالع كانت الدولة التي كان يجاورها دولة مسلمة عظيمة هي الدولة السامانية[156]، وهي من الدول العظيمة التي لها أثر كبير في التاريخ الإنساني والتاريخ الإسلامي، وكانت دولة إسلامية مهتمة بالعلوم العسكرية والعلوم الحياتيّة مثل اهتمامها بعلوم الشريعة وعلوم الحضارة والعمران، وغيرها من النواحي التي تجعلها دولة عظيمة، كما كانت الدولة السامانية حريصة على إيصال الدعوة الإسلامية إلى الناس، فكان الدعاة يتحركون مثلما تتحرك الجيوش والقادة والجنود.

البحث عن الحقيقة ودخول الإسلام.

بدأ سلجوق يسأل عن دين هذه الدولة المجاورة- الدولة السامانية- فقذف الله في قلبه حبّ الإسلام فأعجبه؛ فقرر ترك البوذية واعتناق الإسلام، فأسلم وحسُن إسلامه، وعمره آنذاك ثلاثة وثمانون سنة، وهو أول يوم له في الإسلام، وبإسلامه أسلمت قبيلته، وكان ذلك في سنة 375هـ. وبعد إسلامه بسبع سنوات (وعمره 90 سنة)، كان قائدًا في الدولة السامانية مناصرًا للإسلام ومدافعًا عن قضاياه، وسبحان الله كان هذا في أواخر أيامها، حيث سقطت الدولة السامانية سنة 389 هـ. ولما سقطت تنازع الناس ملكها، وكان سلجوق بن دقاق من أولئك الذين اجتهدوا في إقامة دولته والتي سميت بعد ذلك باسمه.

---

156 دولة إسلامية سنية امتدت منذ عام 819م وحتى 999م. تمركزت الدولة في خراسان الكبرى وبلاد ما وراء النهر، وشملت الدولة في أقصى اتساع لها ما يُعرف اليوم باسم أفغانستان، وأجزاء واسعة من إيران، وطاجكستان، وتركمنستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان، وأجزاء من كازاخستان، وباكستان، واتخذوا سمرقند ثم بخارى عاصمة لهم.

خياركم أطْوَلُكم أعمارًا وأحْسَنُكم أعمالًا!

وكأننا نرى في هذا الرجل العظيم سلجوق بن دقاق قوله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث عندما سُئِلَ: **"يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: "مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ"**، وكذلك قوله في رواية أخرى: **"خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالًا"**. لذا علينا جميعًا الشباب أو كبار السن أن نأخذ العبرة من هذه الشخصية العظيمة، فمع كِبَرِ سنه إلا أنه أقام الله به دولة حمت الإسلام واستمرت حوالي ثلاثة قرون.

استثمار الأوقات في أعمال البر والخيرات.

والنصيحة هنا لكبار السن عليكم بالتزام الطاعات وكثرة العبادات فما زال في العمر متسع، وما زال فيكم القدرة على الطاعة؛ فأنتم قد قلّت عندكم الشهوات، وزادت عندكم العزيمة والصبر، والفرصة عندكم ما زالت سانحة، والله قد أعطانا جميعًا برحمته وفضله الأعمال اليسيرة والعبادات السهلة التي لا تحتاج إلى كثير جهد مع الأجر العظيم، كالصلاة وقراءة القرآن والأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس، والمكوث في المسجد وغير ذلك من الأعمال الكثيرة واليسيرة التي يستطيعها أي إنسان.

وعلى أصحاب الخبرات والتجارب أمانة!

كذلك فإن على أصحاب الخبرات والوظائف والأعمال أمانةً ودورا عظيما يفيد بني قومهم من المسلمين: العالم أو الشيخ أو المعلم أو الطبيب أو المهندس أو التاجر أو المحامي أو العامل أو أي مهنة أخرى، فعليهم أن يفيدوا مجتمعاتهم من نتاج هذه الأعمال والمهن، ويورِّثوا للأجيال القادمة

خبراتهم فيها بل وخبراتهم في الحياة بصفة عامّة، تلك التي اكتسبوها على مدار أعمارهم الطويلة؛ ولهم الأجر الجزيل من الله.

وأنت.. أيها الشاب الحبيب؛

اجتهد أن تحفظ القرآن أو شيء منه فلأن تُقبض وأنت تطلب العلم أو تحفظ القرآن أفضل من أن تموت وأنت على غير هذا، فكم من كبار السنّ وكبيراته حفظوا القرآن وتعلموا الكثير وهم في سنٍّ متأخرة. واجتهد أن يكون لك نصيبٌ من الأنشطة الاجتماعية كالتطوع في الأعمال الخيرية، ودور رعاية الأيتام أو دور المسنين أو العمل مع فريق لمحو الأمية في محيطك الذي تعيش فيه، أو غير ذلك من النشاطات الاجتماعية التي لا تحتاج لقوة وجهد كبير ويستطيعها الكثير من كبار السن.

وأخيرًا: العمر سينتهي لكن المهم جدًا أن يقبضك الله وأنت في طاعته، وأنت تعمل فيما يرضي الله.

وبعد طول عُمْر في خدمة الإسلام

مات سلجوق بن دقاق سنة 399 ه ثلاثمائة عن عمر 127 سنة؛ أي أن كل الذي عاشه في الإسلام فقط 24 سنة، أي أقل من ربع عمره مع أنه عندما دخل الإسلام كان عمره 83 سنة، فمَن كان يتخيل أنه في هذا العمر يمكن أن يُغيّر حياته ودينه ويقيم الله به دولة عظمى؟ في هذا العمر غالبًا لا يكون أحد عنده رغبة في التغيير أو في سلوك أمر جديد، لكنه – بعد توفيق الله له – فكّر وقدّر وقرر أن يدخل في الإسلام وتهيأت الأسباب لإقامة دولته فلماذا لا يقيمها، جاهد في سبيل الله حق الجهاد فأسس دولة عظيمة.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلَّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. علينا ان نقرا في سيرة اجدادنا وعظماء ديننا.
2. الفراغ وعدم العمل آفة خطيرة تقضي على الأمم.
3. أفضل النعم أن يطول عمر الإنسان ويحسن عمله.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

أسئلة للاستيعاب

1. من هو سلجوق بن دقاق، وكيف كانت نشأته؟
2. تكلم عن رجل في الثمانين من عمره في محيطك.. كيف يقضي عمره؟ وما رأيك؟
3. لو بلَّغك الله الثمانين.. ترى ما طموحاتك في هذه السن؟
4. في زماننا يدخل بعضهم أحيانًا في حالة من الاكتئاب لأنه كان في وظيفة، والآن خرج على المعاش مثلًا أو ترك العمل".

أ. ما رأيك في هذه العبارة؟

ب. هل قابلت أحدًا يتصف بهذه الصفات؟

ت. هل قابلت أحدًا يتصف بعكس هذه الصفات؟

5. "وهرب برجال عائلته وزوجاتهم وأطفالهم وأخذ معهم كل ما يملكون من شياهٍ وغيرها"

أ- عمن تتحدث العبارة؟

ب- ولماذا هرب بعائلته؟ وكم كانت سنه حين هرب بهم؟

ت- وكم كان عددها آنذاك؟ وإلى أين ذهب بهم؟

ث- وعلام يدل ذلك؟

ج- ماذا نستفيد من هذه العبارة؟

ح- وأين استقرت العائلة؟

6. مستعينا بمعلمك: اذكر الدروس المستفادة من هذا الحديث "يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: "مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ"، وكذلك قوله في رواية أخرى: "خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالًا".

7. أين نجد المعاني التالية في الموضوع:

أ- الأبناء غالبًا ما يكونون على طريق آبائهم فهم ذرية بعضها من بعض.

ب- لا سنَّ للجهاد ولا للعمل في سبيل الله!

ت- كانت مساحة دولة السلاجقة الإسلامية عظيمة.

8. وردت في الموضوع نصيحة لكبار السن. فما محتواها؟

9. بم تنصح أنت صغار السن ممن هم في ريعان شبابهم.

10. إذا أردت أن تستشهد بسيرة "سلجوق بن دقاق" محدثا بها الشباب، فماذا تقول لهم؟

11. تخيل أنك قابلت هذا الرجل العظيم اليوم.

أ. فماذا ستقول له؟

ب. وبم ستدعو له؟

8- ابن حزم من الوزارة إلى العلم

التعريف به.

نعيش في هذه الصفحات مع عالم من أهم العلماء الأعلام في تاريخ المسلمين وأكبرهم، ملأ الدنيا وشغل الناس، وهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي؛ ولد (30 رمضان 384هـ). وهو متكلم وأديب وشاعر ونسّابة[157] وعالم برجال الحديث وناقد محلل بل وصفه البعض بالفيلسوف، كما عُـدَّ من أوائل من قال بكروية الأرض.

ابن حزم المؤسس الثاني للمذهب الظاهري.

ابن حزم واحدٌ من أكبر علماء الأندلس، وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، وهو إمام حافظ، فقيه ظاهري[158]، ومجدد القول به، بل محيي المذهب بعد زواله في الشرق. ويعد المؤسس الثاني للمذهب الظاهري وناصره وناشره بعد العالم الكبير داوود الظاهري، وقد سار على طريقته ونهجه الإمام ابن حزم غير أنه أضاف إلى المذهب وعدّل فيه وعليه، حتى صار أهل الظاهر ينسبون المذهب إلى ابن حزم أكثر من داوود الظاهري!

---

157 – عالم بأنساب العرب.

158 – الظاهرية مذهب فقهي، وقيل منهج فكري وفقهي، نشأ في بغداد في منتصف القرن الثالث الهجري إمامهم داود بن علي الظاهري ثم تزعمهم وأظهر شأنهم وأمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي.

ومما قيل فيه رحمه الله.

قال ابن العماد الحنبلي في كتابه [شذرات الذهب] عن ابن حزم "نشأ في نعمةٍ سابغة، فزهد بها وكان من صدور الباحثين فقيهًا، حافظًا، يستنبط الأحكام من الكتاب والسُّنّة بعيدًا عن المصانعة، وكان إليه المنتهى في الذكاء والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدُد والرياسة وكثرة الكتب". والمعنى: أن ابن حزم كانت بداية نشأته غِنىً وثراءً حيث أبوه كان وزيرًا، وكان له وضعٌ مهيب في الدولة وكان يعيش في قصر كبير جدًّا، وهكذا عاش الإمام ابن حزم في كلّ هذه الرفاهية، في الفترة الأولى من عمره حيث النّعمة السابغة والمنصب الكبير والجاه العريض، وقد كان له هو نفسه وزارة بعد أبيه وإن كانت شهور قليلة، لكنه سرعان ما زهد فيها بل وزهد في هذه الحياة المترفة المنعّمة، وانصرف إلى طلب العلم والتأليف.

ويقول "سلطان العلماء" العز بن عبد السلام وهو من كبار العلماء عن ابن حزم "ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل [المحلَّى] لابن حزم و[المغني] للشيخ الموفَّق[159]". والمعنى: أن هذين الكتابين لا يوجد في الإسلام مثلهم، [المحلَّى في شرح المجلَّى بالحجج والآثار] لابن حزم. و[المجلَّى] كتاب له في الفقه، شرحه في كتابه المحلّى. و[المغني] المغني لابن قدامة هو شرح كتاب "مختصر الخِرَقِيّ" في الفقه الحنبليّ.

وقد قال عنه الإمام الذهبي: "ابن حزم رأس في علوم الإسلام، متبحِّر في النقل، كان ينهض بعلوم جمَّة ويجيد النقل ويحسن النظم والنثر، وفيه دينٌ

---

159 – الموفَّق هو أبو محمد موفَّق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الحنبليّ، أحد شيوخ الحنابلة ومنظّريهم. ولد سنة 541 ه وتوفي سنة620ه.

وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مُكِبًّا على العلم".

وقال عنه ابنه أبو رافع الفضل ابن حزم "جمعت ما كتبه أبي فوجدته نحوًا من أربعمائة مجلد، وتعدّت صفحاتها أكثر من ثمانين ألف ورقة. وكان من أهم صفاته شدة ذكائه وكثرة تواليفه[160] مع البعد الشديد عن النفاق والرياء فكان لا يداهن أحدًا من الحكام ولا يُلاطف العلماء أو الفقهاء حتى قيل عنه (لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقان) ولهذا جلب عليه لسانه وعدم ملاطفة خصومه، جلب له الحسد والقطيعة مع العلماء والأمراء.

وهو معدود من العلماء الأكثر تأليفًا في تاريخ الإسلام: كالطبري، وابن الجوزي، والسيوطي.

ابن حزم وبداية طلب العلم

كانت بداية طلبه للعلم غريبة شديدة الغرابة، فقد بدأ ابن حزم -رحمه الله- تعلّمه للعلوم الشرعية وهو في العقد الثالث من عمره، إذ كان عُمره آنذاك ستةٌ وعشرون سنة، وكان قبل ذلك لا يعرف أي شيء عنها، فقد كان حياته بين الجواري والنساء في قصره مرفَّهًا منعّمًا، وكان أبوه مشغولا بأمور الدولة وأمور الوزارة التي كان متولّيها ذاك الوقت، ولما ترك أبوه الوزارة سُجن فترة طويلة في أمور سياسية، أي أنه تربى بعيدًا عن أبيه في بيئة رخوة جدًّا. وفي فترته الأولى هذه كتب كتابه المسمّى بـ[**طوق الحمامة**] وهو كتاب أدبي يتكلّم فيه عن العشق والحب وما إلى ذلك، ثم حدث له موقف غيّر حياته ومساره العلمي، هذا الموقف جعل منه عالِمًا كبيرًا لأنه استفاد منه واغتنم الفرصة لصالحه وبدأت مسيرته العلمية الشرعية.

---

160 - تواليفه= تآليفه= مصنفاته.

من المِحَن تأتي المِنَح!

هذا الموقف الغريب هو أن ابن حزم – رحمه الله – في يومٍ من الأيام ذهب إلى أحد المساجد ليصلي صلاة الجنازة في هذا المسجد، ودخل المسجد قبل صلاة العصر، وكان جمع كبير موجود في هذه الجنازة، فدخل المسجد ينتظر الجنازة وجلس ولم يصلّ تحية المسجد، فقال له أحد الحضور قُمْ فصل تحية المسجد، فقال ابن حزم لا أعرف، فقال له الجالس كيف لا تعرف وأنت في هذه السنّ (وكان عمره 26 سنة) فاستحى من نفسه وقام فصلّى تحية المسجد، ثم انتهوا من الجنازة ورجعوا إلى المسجد وكان ذاك بعد صلاة قبل المغرب، فقام وصلّى ركعتين تحيَّة المسجد ظنًّا منه أن هذا الوقت ليس وقت نهي عن التنفل فيه، فقال له أحد الجلوس، اجلس لا تتنفّل فهذا الوقت وقت نهي، فعرف أنه لا يعرف شيئًا من العلوم الشرعية، قال ابن حزم: فانصرفت عن المسجد وقد خَزِيت، وأنا لا أستطيع أن أنظر لأحد، ولحقني ما هالت به عليَّ نفسي ما لحق من العار والخزي.

وفي موضع آخر يقول عن نفسه: "إنني عندما بلغت السادسة والعشرين من عمري كنت لا أجبر صلاة من الصلوات"؛ بمعنى أنه من الناحية الفقهيَّة والشرعية لا يطمئن لصلاة من صلواته من حيث كيفيتها وأقوالها وأفعالها، لكن كيف حوّل أزمته هذه إلى منحة جعلت منه وحيد عصره وفريد دهره علمًا وفقها؟

ابن حزم والمحنة التي صارت منحة!

قد يحدث هذا الموقف المحرج مع أي أحد لكن المهم كيف يتصرف الواحد منا؟ وكيف يحول هذا الموقف المحرج إلى منحة ويأخذ نفسه أخذًا إيجابيًا؟

خرج ابن حزم من المسجد مَخزيًّا مُحرجًا أشد الحرج، وقد لحقه من العار أمام نفسه ما لحقه، وكان تصرّفه حكيمًا أشد الحكمة قلّما يستطيعه أحد في مثل موقفه، فهو لم يردّ على مَن نصحوه ردًّا يُغضبهم، أو يتهمهم بالجهل أو يُبرر لنفسه هذا الخطأ الجسيم الذي لا يقع فيه صغار طلاب العلم، لكنه حوَّل هذا الموقف لحالةٍ إيجابية، وذهب بسرعة لأحد أصدقائه ومعارفه الثقات، وقال له: "أريد أن أتعلم فدُلَّني على من يُعلِّمني" فدلَّوه على أحد الفقهاء المالكية في بلده، وكان رجلًا من علماء المالكية في الأندلس في ذلك الوقت يُقال له ابن دحون161، فذهب ابن حزم من ساعته لابن دحون فسأله: بأي شيءٍ أبتدئ؟ قال: ابدأ بالموطَّأ [موطَّأ مالك]، كما هو حال أهل الأندلس في ذاك الوقت.

البداية بالموطأ[162].

قال رحمه الله "فبدأت به قراءةً عليه من اليوم التالي لذلك اليوم، ومكثت ثلاث سنوات حتى حفظته" يقول: "فقرأته عليه وقرأه عَليَّ" ووصل في

---

161 – هو أبو محمد عبد الله بن يحيى بن دحون: الإمام الفقيه أحد الشيوخ المفتين بقرطبة عمَّر كثيرًا فأخذ عنه الناس، منهم: ابن رزق، ومحمد بن فرج، وأحمد بن القطان وغيرهم. مات سنة 431هـ.

162 – المُوَطّأ: كتاب في الفقه للإمام مالك، وقصته: أن الخليفة أبي جعفر المنصور (ت158هـ) لجأ إلى الإمام مالك في موسم الحج طالبا منه تأليف كتاب في الفقه يجمع الشتات وينظم التأليف بمعايير علمية حدّدها له قائلا: «يا أبا عبد الله ضع الفقه ودوّن منه كتبا وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر، ورُخَص ابن عباس، وشوارد عبد الله بن مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور، وما اجتمع إليه الأئمة والصحابة، لتحمل الناس على علمك، وكتبك، ونبثها في الأمصار ونعهد إليهم ألا يخالفوها». وقد طلب المنصور من الإمام مالك أن يجمع الناس على كتابه، فلم يجبه إلى ذلك، وذلك من تمام علمه واتصافه بالإنصاف.

المذهب المالكي لدرجة كبيرة حتى كان يناظر فيه علماء المالكية. ثم بعد ذلك انتقل من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي حتى بلغ فيه مبلغًا كبيرًا، ثم تركه إلى المذهب الظاهري وترك القياس كما هذا المذهب وتمسك به وناظر علماء عصره وغلبهم حتى قيل فيه (**سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان**) فما ناظر أحدًا إلا غلبه، حتى اسْتَعْدُوا 163 عليه السلطان وطاردوه وأفتوا بحرق كتبه، وانتهى به الأمر إلى أن صار ابن حزم صاحب أكبر تصانيف في تاريخ الإسلام بعد والطبري[164] وابن الجوزي[165] والسيوطي[166] وفاق أقرانه، وناظر اليهود والنصارى فما استطاعوا أن يصمدوا له وصار بعد هذا عالم الدنيا ومؤسس المذهب الظاهري.

ابن حزم والدرس المستفاد!

كان من الممكن أن يتأثر – رحمه الله – سلبًا ويكمل باقي حياته كأي شخصٍ عادي لا يُعبأ به ولا يفيد نفسه، فضلًا عن أن يُفيد غيره، أو على الأكثر يعيش حياته كما كانت بدايتها؛ فقط [طوق الحمامة] أو بعض أشعار الغزل

163 – سَعَوا في إيقاع عداوة السلطان به.

164 – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطَّبَرِي، (224هـ – 310هـ)، مفسّر ومؤرّخ وفقيه، ولُقِّبَ بإمام المفسرين، ولد بآمُل عاصمة إقليم طبرستان. ولم يتزوج.

165 – ابن الجوزي، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن محمد التيمي القرشي. فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ولد ببغداد سنة 510 ه. وتوفي بها سنة 597ه. حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون. يعود نسبه إلى أبي بكر الصديق.

166 – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين السيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، إمام حافظ، ومفسر، ومؤرخ، وفقيه شافعي. ولد سنة 849ه. وتوفي سنة 911ه. له أكثر من 600 مصنف.

أو غيره، أو بعض النثر والآداب لكنه حتمًا لن يكون من العلماء الذين تستفيد منهم الأمة الإسلامية في حياتهم أو بعد مماتهم، لكنه حوَّل أزمته ومحنته التي وقع فيها إلى فرصة إيجابيّة، كما حوَّل موقفه السلبي إلى موقف إيجابي، وهذا من أروع ما يمكن أن يكون.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. الغنى ليس مانعًا عن العلم ولا الاشتغال به.
2. أعداء العلم والخير موجودون في كل مكان، فاستعذ بالله منهم، واجتهد وتوكل على الله.
3. اعرف قدراتك جيدا وإمكاناتك واستفد منها في الخير والعلم.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

أسئلة للاستيعاب

من هو ابن حزم؟

ما معنى هذه العبارة " ابن حزم شغل الدنيا وملأ الناس"؟

1. في الفقرة الثانية كم صفة ذُكرت لابن حزم؟ (ارجع للفقرة).
2. من قائل العبارات التالية:

أ- ما رأيت في كتب الإسلام مثل [المحلَّى] لابن حزم و[المغني] للشيخ الموفَّق.

ب- وكان إليه المنتهى في الذكاء والعربية والآدب والشعر مع الصدق والديانة.

ت- جمعت ما كتبه أبي فوجدته نحوًا من أربعمائة مجلد، وتعدّت صفحاتها أكثر من ثمانين ألف ورقة.

3. ما المقصود بهذه العبارة "لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقان"؟
4. احكِ لأصدقائك عن الموقف المخزي الذي دفعه للبدء في أخذ العلم. وماذا نتعلم منه؟
5. هل حدث مثل هذا الموقف لك أو لأحد من معارفك؟
6. ما الدرس الذي يستفيده طلبة العلم من سيرة ابن حزم؟
7. ماذا يقصد ابن حزم من قوله: " إنني عندما بلغت السادسة والعشرين من عمري كنت لا أجبر صلاة من الصلوات"؟
8. هات من هذا الموضوع ما يدل على إمكانية تحويل المحنة (المواقف المخزية) إلى منح (نجاح وتفوق).
9. ماذا تعرف عن كتاب الموطأ؟ وما حكاية ابن حزم معه؟
10. ما الدروس المستفادة من قصة ابن حزم؟

9- الوزير عليّ بن عيسى والثبات على المبادئ

التعريف به

هو أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح، كان وزيراً للمقتدر بالله والقاهر بالله، ولد سنة 245هـ وسمع كثيراً من علماء عصره، وهو أحد أهم وزراء المسلمين في التاريخ الإسلامي وهو من الوزراء المشهورين كان من طلاب العلم النُجباء، سمع الكثير من علماء عصره، وكان ثقة نبيلًا فاضلًا عفيفًا، كثير التلاوة والصيام والصلاة، يحب أهل العلم والعلماء وكان يكثر مجالستهم، فارسي الأصل. توفي – رحمه الله – سنة 335هـ. بعد أن عاش 90 سنة قضاها فيما يُرضي الله.

سيرته الوظيفية المُشَرِّفة.

نشأ الوزير علي بن عيسى كاتبا كأبيه، وولي مكة ثم استقدمه المقتدر إلى بغداد سنة 300 هـ. فولّاه الوزارة، فأصلح الأحوال وأحسن الإدارة وحُمدت سيرته. ثم عزله المقتدر سنة 304 هـ. وحبسه ونفاه إلى مكة في سنة 311هـ ومنها إلى صنعاء. وأذن له بالعودة إلى مكة سنة 312ه فعاد. وولي فيها الاطلاع على أعمال مصر والشام، فكان يتردد إليهما. وأعاده المقتدر إلى الوزارة فرجع إلى بغداد سنة 314 وما لبث أن نَقِم عليه المقتدر فعزله وقبض عليه وحبسه سنة 316هـ. ثم أرجعه لوظيفته وجعل له النظر في الدواوين سنة 318 وهكذا كانت حياته ملؤها الاضطراب!

ابن عيسى عملاق في زمن الأقزام.

جاء هذا الوزير في زمان فتن واضطرابات عظيمة تجعل الحليم حيرانًا، حتى أنه تولى الوزارة ثم عُزل عنها مرات عديدة ولم يتغير في سياسته الشرعية وسار دائما على فهمه واجتهاده وورعه، ولم يكن يوما إمّعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنتُ، وإن أساء الناس وتغيرت الظروف أسير في ركابهم!! تاركا ما عليه من المبادئ والأخلاق والإسلام!! إلا أنه ظل على حاله أحد النماذج والقدوات الطيبة التي توضح لنا أن الإنسان لا ينبغي أن يتعلَّل بالظروف الصعبة التي يعيشها مهما كانت، مع العلم أنه ليس بنبيّ ولا صحابيّ ولا من التابعين، لكنه، عرف الحق وسار عليه واجتهد في ذلك قدر استطاعته حتى صار في مصافّ العظماء والعلماء الكبار والوزراء الذين ندر أنْ يجود الزمان بمثلهم. وكان الرجل أيام وزارته قويًّا بين الضعفاء، أمينًا بين خونة، عالِمًا بين جهال، مما جعلهم يخافون منه فيولّونه ثم يعزلونه حتى لا يكشف سترهم وسرّهم ومدى ضعفهم وخيانتهم للشعب والدين. وتوفي رحمه الله ببغداد شهر ذي الحجة سنة 334هـ. من كتبه "ديوان رسائل" و"معاني القرآن" و"جامع الدعاء"، وكتاب "الكتاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء".

رحيمٌ في زمن القُسَاة!

كتب الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى سنان بن ثابت رئيس أطباء بغداد: ".. فكَّرْتُ في أمرِ مَنْ في الحُبُوس (السجون)، وأنه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض؛ فينبغي أن تُفرد لهم أطباء يدخلون إليهم كل يوم، وتُحمل إليهم الأدوية والأشربة، ويفعلون ذلك في سائر الحُبُوس (السجون) حتى يعالجون من فيها من المرضى". وانظر – هداك الله – كيف تكون مثل هذه الرحمة في قلب هذا الوزير وهو في فترة من

أصعب الفترات التي كان فيها عقوبات من بعض المسؤولين تصل إلى الحرق والقتل وسَمْل الأعين ومصادرة الأموال بغير وجه حق وفرض الضرائب الكبيرة، والمكوس التي أثقلت كاهل الشعب وغير ذلك من العقوبات التي لا يتخيلها العقل.

حيـــاته رحمه الله بعد الوزارة.

في أخريات حياته اعتزل السياسة وكل ما يقرّبه منها وذهب إلى مكة ليجاور البيت الحرام، ويعيش في كنف الكعبة ويبتعد عن الدنيا وما فيها، وفي هذا يُحكى عنه حكايات غريبة في حُسن صلته بالله وإجابة الله لدعائه: "لما نزل مكة وكان هذا في شهر رمضان وكان صائمًا، وبعد أن انتهى من العمرة، وكان الجو شديد الحرارة، رجع إلى بيته واستلقى على فراشه، وكان معه أحد غلمانه، فقال الوزير:

- "اللهم إني أشتهي عليك شربة من ماءٍ باردٍ"!
- فقال له بعض أصحابه: ماذا تقول؟ وبماذا تحلُم؟ إن هذا مما لا يتهيَّأ ها هنا وفي هذا الوقت من الصيف ولا في مثل هذا الحر الشديد"!
- فقال رحمه الله: "نعم أعرف، ولكني استروحت إلى المُنى" أي هذا شيءٌ أتمناه من الله وأرجوه منه.

يقول غلامه، ثم نام، وما هي إلا لحظات حتى رأينا فوقنا سحابة كبيرة في السماء فأمطرت علينا بمكة، ونزل معها بَرَد، فخبَّأت له من هذا البرَدَ – الماء البارد–، وانتظرت حتى وقت الإفطار وذهبنا إلى الحرم، فصلينا المغرب فقدمت له ألوانًا من الأشربة بالماء البارد، فلما أخذها قلت لعله سيشرب منها للآن فالرجل صائم، فلم يشرب وأخذها وذهب يطوف بها ويسقي الناس ولم يشرب منها شيئًا، فلما رجع ثانيةً كنت قد خبئت له من الماء البارد، فأراد أن

يأخذها للناس ثانية قبل أن يشرب هو، فأقسمت عليه لتشربنَّ هذا الماء فإني قد جمعته لك، قال فشربه بعد جهد، ثم قال: "كنت أشتهي لو كنت تمنَّيت المغفرة"! فقد استجاب الله دعاءه ورجاءه.

مما قيل عنه رحمه الله!

ذكر عنه المؤرِّخون والعلماء في كتبهم الكثير والكثير من حُسن السيرة ونقاء السريرة، وعنه الطبراني وغيره، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عفيفًا، كثير التلاوة والصيام والصلاة، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم، أصله من الفرس.

وقال الذهبي[167] **عن فترة وزارته** حين تولَّى هذا الوزير العظيم علي بن عيسى الوزارة للخليفة المقتدر عام 301هـ. "عدل في الرعية، وعفَّ عن المال، وأحسن السّياسة، واتَّقى الله، وأبطل الخمور. وكان صدوقًا، ديِّنًا، خيّرًا، صالحًا عالمًا من خيار الوزراء في تاريخ المسلمين، ومن الصُلحاء المصلحين العُظماء. وكان على الحقيقة غنيًّا شاكرًا، ولما نزل به صابرًا وعدل في الرعيَّة، وعفَّ عن المال، وأحسن السياسة، واتقى الله، وأبطل الخمور". وعُزِل بسبب وشاية عام 304 هجرية.

قال ثابت بن سنان168 متحدثًا عن ورعه وصلاحه ودينه: (وحدَّثني بعد عزله من الوزارة).

---

167 – هو شمس الدّين الذَّهَبِيّ هو مُحدث وإمام حافظ. (ولد 673هـ. وتوفي سنة 748ه.) جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا، فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالاً، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها.

168 – أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة طبيب ومؤرخ بغدادي. جمع بين عدد كبير من العلوم

قال: قال لي ابن الفُرات بعد صرفي وتوليته: أبطلتَ الرسوم، وهدمتَ الارتفاع؟

- فقلت: أيُّ رسم أبطَلْتُ؟
- قال: المكْس بمكّة.
- فقلت: أهذا وحده أبطَلْتَ؟
- قال: قد أبطَلْتُ ما ارتفاعه في العام خمس مائة ألف دينار، ولم أستكثر هذا القدر في جنب ما حَطَطْتَهُ عن أمير المؤمنين من الأوزار!

وقال الصولي[169] **عنه**: "لا أعلم أنه وَزَرَ لبني العباس مثله في عفته وزهده وحفظه للقرآن، وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره، ويقوم ليله، وما رأيت أعرف بالشعر منه، وكان يجلس للمظالم، وينصف الناس، ولم يروا أعفّ بطنًا ولسانًا وفرجًا منه".

وقال الخطيب البغدادي[170]: "كان صدوقا دينا فاضلا عفيفا في ولايته، محمودا في وزارته، كان كثير البِرّ والمعروف وقراءة القرآن والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم، ولم يزل من حداثته معروفا بالستر والصيانة والصلاح والديانة".

الإنسانية والتطبيقية، فكان مؤرخا فيلسوفا وأديبا، كما كان طبيبا وفلكيا ورياضيا، وكانت له بصمات واضحة في تلك العلوم والفنون، بالرغم من أنه لم يحقق قدراً كبيراً من الشهرة. وتوفي 365ه.

169 - أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله، نسبته إلى جده "صول تكين"، الذي كان وأهله ملوكا بجرجان، كان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء. توفي كما يقول ابن النديم مستترا بالبصرة عام(٣٣٥هـ).

170 - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (392ه- 463هـ) مؤرخ عربي. نشأ في دَرْزِيجانَ، وهي قرية تقع جنوب غرب بغداد..

وقال ابن الأَبَّار[171]: "كان زاهدًا متواضعًا وَزَرَ للمقتدر، ولم يكن يهوى ذلك، بل كان يحب الاعتزال ويقول: وما كنت أحتسب بمقامي في هذا الأمر إلا أني مجاهد في سبيل الله خوفا من فتنة لا تبقي ولا تذر".

وقال الصفدي: "كان على الحقيقة غنيًّا شاكرًا صدوقًا خيّرًا عالمًا من خيار الوزراء، وكان كثير البِرّ والمعروف والصلاة والصيام ويجالس العلماء".

فائدة:

إن من ينظر لتاريخ هذا الرجل المشْرِق المشَرِّف الذي عاصر فترة هي من أسوأ فترات التاريخ الإسلامي، من جميع النواحي، يعلم أنه قد توزَّر في فترة من أضعف فترات الدولة العباسية، حيث كان وزيرًا للمقتدر بالله، والمقتدر بالله هذا أحد خلفاء الدولة العباسية الذين اُشتهر عنهم الولع بالترف والمجون والخمور وكثرة الجواري وتحكّم النساء بالحكم بشكلٍ كبيرٍ ومفرِط، حتى سُمّيت هذه الحِقبة بحقبة سيطرة التُرك على الخلافة العباسية. بيد أنه مع كل هذا الضعف إلا أنه كان مثالًا فريدًا في كل حكمه وورعه وتقواه نظرًا لما كان حوله من كل هذه المفاسد، ومنه نتعلم أن الإنسان صاحب المبادئ لا يكن إمَّعة، بل يثبت على مبادئه وأخلاقه كما كان هذا الوزير علي بن عيسى، وغيره من الرجالات.

والحق نقول: إن سيرة هذا الوزير تدلّ على أنه ممن وطّنوا[172] أنفسهم، مع كثرة الفتن والاضطرابات التي صاحبت عصره والتي تجعل الحليم حيرانًا،

---

171 – هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبّار، ينسب إلى قضاعة بن مالك وهي قبيلة من حمير، وقيل ترجع في نسبها إلى معد بن عدنان، لقب بابن الأبّار لأن والده اشتغل بصناعة الإبر وبيعها.

172 – وطَّنوا: أعدُّوا وهيّأوا.

فلم يكن يومًا إمّعة إن أحسن الناس أحسنَ هو وإن أساءوا تبعهم في الإساءة لكنه رحمه الله كان محسنًا على كل حال فلم يتبع إساءة الخلفاء ولا قابل السيئة بالسيئة كما كان أكثر أهل زمانه. روى الترمذي عن حذيفة: أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: **«لا تَكُونُوا إِمَّعَةً[173]، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»**.

وهذا الوزير عندما وطّن نفسه لم يكن موقفًا عرَضيًا لحظات أو أيامًا أو شهورًا، لا: بل ظلّ سنوات طويلة، وإن شئت فقل ظل حياته كلها محافظًا على أخلاقه ونقائه ومبادئه ودينه، في زمن كله مفاسد وكله انحرافات في أغلب مناحي الحياة، والذي نستفيده من مواقفه هذه أنه يجب على الشخص أن يكون ثابتًا ومحافظًا على أخلاقه مهما كانت الظروف؛ وأنه لا عذر لك إن تغيّر الناس من حولك أن تتغير مثلهم في الفساد والتلوُّث بأخلاق المفسدين.

ونختم هنا بكلمة للفضيل بن عياض وهو من كبار علماء المسلمين وزهّادهم، قال: "اتَّبع طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإيَّاك وطرق الضلالة، ولا تغترّ بكثرة الهالكين".

---

173 - "الإمَّعة -بكسر الهمزة وتشديد الميم- الإمَّعة هو الشخص الذي لا رأي له ولا عزم؛ فهو يتابع كل أحدٍ على رأيه ولا يثبت على شيء".

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. المؤمن ليس بإمّعة، وإنما يحسن مع الناس إن أحسنوا، ويحسن إن هم أساءوا.
2. الزهد والتواضع من شيم المخلصين حتى وإن كانوا أغنياء.
3. صاحب الحق لا يخشى إلا الله.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

أسئلة للاستيعاب

1. عرِّف إلى أصدقائك الوزير علي بن عيسى.
2. في الفقرة الأولى ذكرت بعض الصفات الحميدة للوزير علي بن عيسى. اُذكرها.
3. كان الوزير علي بن عيسى عملاقًا في زمان الأقزام. ما المقصود بهذه العبارة؟
4. كان الوزير علي بن عيسى رحيمًا في زمن القُسَاة. ما المقصود بهذه العبارة؟
5. **اقرأ ثم أجب: ورد في الحديث الشريف: "لا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا».**

أ- اشرح المقصود بهذا الحديث.

ب- ما الدرس المستفاد من هذا الحديث؟

6. "الإنسان صاحب المبادئ لا يكن إمَّعة، بل يثبت على مبادئه وأخلاقه"

أ. ما المقصود بهذه العبارة؟

ب. هل تعرف شخصا في حياتك يمكن أن ينطبق عليه هذه العبارة؟

7. هل هناك شخص في بلدك أو محيطك تتشابه سيرته مع هذا الوزير. من هو؟
8. من قائل العبارات التالية في حق الوزير

أ. من خيار الوزراء في تاريخ المسلمين، ومن الصُلحاء المصلحين العُظماء

ب. لا أعلم أنه وَزَرَ لبني العباس مثله في عفته وزهده وحفظه للقرآن، وعلمه بمعانيه

9. ما الدروس التربوية المستفادة من سيرة هذا الوزير.

10- سليمان القانوني.. السلطان المفترى عليه!

التعريف به.

سليمان الأول بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني بن محمد الأول بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان؛ عاشر السلاطين العثمانيين وخليفة المسلمين الخامس والسبعون، وثاني من حمل لقب «أمير المؤمنين» من آل عثمان. بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت. وصاحب أطول فترة حكم بعد وفاة والده من شوال سنة 926هـ. حتى وفاته في 974هـ.

السلطان المفترى علـــيه!

الحق أن الكثير من أمجاد الدولة العثمانية وفتوحاتها تحققت في عهد السلطان العظيم المفترَى174 عليه (سليمان القانوني) الذي ولد في مدينة طرابزون سنة900هـ. أي بعد سقوط الأندلس بثلاث سنوات فقط، وكان والده آنذاك واليًا على مدينة طرابزون175، وللأسف الشديد لا يعرف شباب المسلمين عنه إلّا التاريخ المشوّه176 والمزوّر177 من خلال هذا المسلسل المنحرف المسمّى –حريم السلطان، الذي شوه سُمْعَته(!)، مع أن

---

174 – المفترى عليه: المظلوم المبخوس الحق.

175 – طرابزون أو طَرَبزُون مدينة تركية تقع في شمال شرق تركيا على ساحل البحر الأسود.

176 – شَوَّهَتِ الْحَقِيقَةَ: أَعْطَتْ صُورَةً عَنْهَا غَيْرَ مُطَابِقَةٍ للوَاقِعِ.

177 – مُزَوَّرٌ: مَغْشُوشٌ، مُزَيَّفٌ.

هذا السلطان العظيم كان من أعظم إنجازاته التشريعات الإسلامية القانونية التي جعلته يلقب باسم (القانوني)، وكان قد تولى السلطان الخلافة بعد موت والده سليم الأول في سنة 926هـ. وعمره آنذاك 26هـ.

دور الأب المُرَبِّي في حياة سليمان القانوني؛

اهتم الأب بتربية ابنه اهتمامًا عظيمًا من ناحية الأدب والعلم، فنشأ محبًا للعلم محبًا للأدب والعلماء والأدباء والفقهاء، وقد اُشتهر منذ شبابه بالجدية وبالوقار178، وهذا ما كان عليه الأب في تربيته لابنه، حتى أنه سمّاه سليمان تيمُّنًا179 بسيدنا سليمان بن داوود – عليهما السلام – وأنه يعقد عليه الأمل في أن يملك ابنه سليمان الدنيا كما ملكها سيدنا سليمان النبيّ عليه السلام، وأن يسير بسيرته الحسنة، وتكون دولته قائمة على العدل والدين كما كان سلفه النبي– عليه السلام– كما ذكر ذلك بعض المؤرخين.

إضاءة؛

لا بد أن نعترف أن دور الآباء مهم جدًا جدًا وذلك لأنهم هم أول وأكثر من يراهم وبالتالي أكثر مَن يتأثر بهم الأبناء ومن ثم يأخذون منهم – في الغالب – أكثر الأخلاق والطبائع سواء حسنة أو غير حسنة، لذا من الأهمية بمكان انتباه الأسرة لمثل هذه الأمور، ولا بد للأسرة من تهيئة الجو المناسب للأبناء من حيث تشجيعهم وتحفيزهم لأن يكونوا إيجابيين ذاتيين يتطلعون دائمًا لمعالي الأمور، بعيدين عن سفاسفها ما استطاعوا لذلك سبيلًا، وبكل الوسائل الممكنة المتاحة، كما لا يقتصر دور الأسرة على هذا فقط بل لهم

---

178 – الوقار: الرَّزانة والحِلْم.

179 – تيمُّنًا: تبرُّكا واستبشارًا.

دور كبير في اختيار تخصصاتهم حسب ميولهم ورغباتهم بما لا يتنافى مع الأخلاق والآداب العامة والأُطر المشروعة المعقولة المتعارف عليها عند ذوي الطبائع السليمة. **ونحن في** أيامنا هذه في أمس الحاجة لأن نربي عليه أبناءنا وكل مَن لنا عليهم ولاية تربوية أو تعليمة، فلا بد لكل معلّم أو مربّيٍ أن يكون عنده هدف، وهو أن يصل بهم لمرضاة الله أولًا، وهذا هو الهدف العام، ثم تأتي الأهداف الخاصة بهم في أمورهم الحياتية، وأن يجعل لهذه الأهداف وسائل للوصول بهم لهذه الأهداف المنشودة فيهم، والمرجوّة منهم، ولا بد لهذه الوسائل من مقاييس تقاس بها مدى تحقق الأهداف من عدمها ومدى جدواها عند هؤلاء المستهدفين من هذه العملية التعليمية والتربوية.

من صفات سليمان القانوني الشخصية وإمكاناته

كان السلطان سليمان القانوني شاعرًا له ذوق فني رفيع، وكان مميزًا حتى في الخط، فكان **خطاطًا** من **الطراز** الأول يجيد الكتابة، وكان ملمًا بعدة لغات من بينها كان يتكلم العربية بطلاقة، كان بصيرًا بالأحجار الكريمة وكانت في ذاك الوقت حرفة الأكابر والعقلاء، وكما كان مغرمًا بالبناء والتشييد الحضاري حيث ظهر هذا في آثار دولته، وذلك طبعًا بسبب توسع رقعة الدولة في عهده والغنى الكبير الذي وصلت إليه، فأنفق بسخاء على المنشآت الكبرى، وشيد المعاقل والحصون -حصون المسلمين-في رودس، في بلجراد، وأنشأ المساجد والصهاريج والقناطر في أنحاء الدولة، خاصة في دمشق ومكة وبغداد، بالإضافة طبعًا إلى ما أنشأه في إسطنبول عاصمتهم والتي كانت بحق من روائع الحضارة والعمارة في زمانه، وأمرها بارز واضح.

وخلودها على مر الزمان، فمن ذهب إلى إسطنبول وشاهد آثار العثمانيين، وآثار سليمان القانوني يجد العجب العجاب.

سبب شهرته بالقانوني؟

وأما سبب شهرته بالقانوني واقتران اسمه به، فكان بسبب أنه وضع القوانين التي تنظم حياة الدول الخاضعة له وشعوبها في سلطنته التي هي أكبر دولة في العالم آنذاك، وهذه القوانين التي وضعها سليمان القانوني شاركه فيها شيخ الإسلام في زمانه الإمام المفسر الفقيه أبو السعود أفندي صاحب أعظم تفسير المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) وهو مفتي الدولة العثمانية في عهد القانوني، وكانت هذه القوانين تراعي الظروف الخاصة لكل قُطر من أقطار دولته، وحرص أن تتفق جميع القوانين مع الشريعة الإسلامية والقواعد التي تعارف عليها العلماء والناس.

لهذا السبب أطلق لقب (القانوني) على السلطان (سليمان) وقيامه بتدوين هذه القوانين، وهذه القوانين كان أول من وضعها هو السلطان (محمد الفاتح) ثم طورها السلطان (بايزيد الثاني) وكذلك في عهد السلطان (سليم) والد سليمان، ثم جاء القانوني وقام بتطويرها أكثر وأكثر، ووضع أكثر من مائتي قانون، كل قانون ينظم جزًا من أجزاء الدولة، من أمثلة هذه القوانين الجامعة -قوانين تجارية، قوانين مالية، قوانين جمركية- حوالي مائتي قانون نظمت الشريعة الإسلامية، وحولتها إلى أحكام قانونية ودستورية واضحة قابلة للتطبيق، وهذا أمر أساسي لبناء أي حضارة إسلامية حديثة.

فلسفة قوانين الخليفة سليمان القانوني.

لنعرف جميعًا أن السلطان سليمان القانوني لم يضع قوانين فيها مخالفة لأي شيء في الشريعة الإسلامية، كل ما فعله حوّل الأحكام الشرعية إلى

قوانين للمحاكم استنادًا على فتاوى كبار الفقهاء وعلى رأسهم شيخ الإسلام أبو السعود الأفندي[180]، على قاعدة شرعية تقول: (إن حكم الحاكم يرفع الخلاف). وظلت هذه القوانين تُطبق ويُعمل بها حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي -الثالث عشر الهجري- فكان بحق كما سماه الأوروبيون (سليمان الكبير والعظيم).

وقد وصلت القوانين التي وضعها سليمان القانوني ودونها في عهده إلى ثلاث مجلدات ضمن مجموع كل القوانين العثمانية والتي طُبعت ونشرت في اثني عشر مجلدًا، في مجالات الإدارة، وفي القوانين، وفي العمارة، وفي الحضارة، وفي الفنون، وفي الآداب، وغير ذلك مما تقوم به الدول العظمى، فدولته استلمها وكانت ست ملايين متر مربع وتركها أكثر من 15 مليون متر مربع. ولم يكن عهد سليمان القانوني فقط العهد الذي بلغت فيه الدولة أقصى حدود لها من الاتساع، وإنما هو العهد الذي تمت فيه إدارة أعظم دولة في العالم، بأرقى نظام إداري، ومع كل هذه العظمة إلّا أنه كان زاهدًا ورعًا تقيًّا حريصًا على ألّا يخالف الشريعة في شيء، كيف لا وقد نسخ بيده القرآن ثمان مرات، وهذه النسخ ما زالت موجودة اليوم في مكتبة مسجد السليمانية في إسطنبول.

إنجازات سليمان القانوني في فترة توليه الحكم.

قلنا إن السلطان سليمان تولى الحكم وعمره 26 سنة فقط في عام 926هـ، بعد وفاة أبيه، وفي الفترة الأولى من حكمه نجح نجاحًا باهرًا على الرغم من

180 هو فقيه وقاض مسلم عثماني وُلد في نهايات القرن التاسع الهجري، عمل في بداية حياته في التدريس حتى بلغ القضاء، ثم ترقى في القضاء حتى أصبح قاضي العسكر ويحضر الديوان العثماني، ثم أصبح مفتياً للعاصمة وشيخاً للإسلام.

صِغر سنه في بسط هيبة الدولة، وضرب على أيدي الخارجين عليها، الطامحين إلى الإعلان عن دول خاصة بهم والاستقلال عن الدولة العثمانية الأم وأرادوا بذلك تفريق الأمة الإسلامية، لاعتقادهم أن السلطان صغير السِّن، وأن هذه هي الفرصة السانحة[181] لهم حتى يحققوا أحلامهم في تكوين دولهم، لكنهم تفاجؤوا بالعزيمة القوية والإرادة الصلبة من هذا السلطان القوي الطموح، والذي لم تلِن له قناة، فقضى عليهم جميعًا واحدًا تلو الآخر.

وقد زادت مساحة الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني السلطان الشابّ حتى شملت أجزاء من القارات الثلاث - أوروبا وآسيا وإفريقيا على النحو التالي:

أولًا: في أوربا، وفي السنة الأولى من حكمه 927ه سيطر على بلجراد[182]، وضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها بودابست، فجعلها والمجر ولاية إسلامية عثمانية، وذلك بسبب تمردهم وعصيانهم، ونقضهم الاتفاقية التي كانت بينهم وبين الدولة العثمانية مما جعل السلطان يتصدى لهم ويضم بلادهم للدولة العثمانية بعد معارك طاحنة معهم وانتصاره عليهم انتصارًا ساحقًا.

ثانيًا: في آسيا، قام السلطان سليمان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية الدموية المتطرفة التي تبنت المذهب الشيعي بتطرف، وأسسته بقوة ودموية في إيران ولم تكتف بإيران فقط بل حاولت أن تنشره في كل الأمة الإسلامية بقوة السلاح والقتل على المذهب والهُوِيّة، وهذا التطرف الذي

181 - فرصة سانحة: مواتية ومتاحة.

182 - بلغراد هي عاصمة صربيا وأكبر مدنها على الإطلاق. تقع المدينة عند نقطة التقاء نهريّ السا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والدانوب، حيث يلتقي السهل البانونّي لأوروبا الوسطى بشبه جزيرة البلقان.

قامت عليه الدولة الصفوية، ما زالت آثاره باقية حتى يومنا هذا فما زالت الأمة متمزقة متشرذمة بالطائفية المذهبية بسببها، ولولا أن قيض الله السلطان سليمان القانوني لانتشر هذا المذهب الفاسد ليس في إيران وحدها بل تعداها لكل الدولة الإسلامية كما كان يطمح حكامها الذين كانت الدموية وكراهية المذهب السُّني في دمائهم، حتى قتلوا جميع علماء السنة وفعلوا بهم الأفاعيل.

كما واجه القانوني **المحتل البرتغالي** في المحيط الهندي والخليج العربي الذين احتلوا عمان وأجزاء من اليمن وغيرها من بلاد المسلمين وقتلوا سكانها، فتصدت لهم قوات الدولة العثمانية بقيادة (أويس باشا العثماني)، ولولا قيض الله هذا السلطان العظيم ربما كان البرتغاليون سيطروا على كل الخليج العربي وكثير من الدول التابعة للدولة العثمانية. وقد أدت هذه السياسة إلى الحد من نفوذ البرتغاليين، ليس فقط في الخليج العربي وإنما في كل مياه الشرق الأوسط.

ثالثًا: في قارة إفريقيا، دخلت ليبيا والقسم الأعظم من تونس وأريتريا وجيبوتي والصومال ضمن نفوذ الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني، كما نمت وزادت القوات البحرية العثمانية العسكرية نموًا كبيرًا منذ أيام السلطان (بايزيد الثاني) وأصبحت مسؤولة عن حماية مياه البحار التي تطل عليها الدولة العثمانية، وزادت قوتها كثيرًا على نحوٍ لم تعهده من قبل في عهد سليمان، وأشهر القيادات البحرية المعروفة في عهده حتى عند الغرب هو(خير الدين بربروسا) القائد الفذّ الذي جعل البحر المتوسط بحرًا إسلاميًا عثمانيًا وهو يُعدّ بحق من أعظم القادة العثمانيين، والذي كان يقود أسطولًا قويًا يهاجم به سواحل إسبانيا والسفن الصليبية في البحر المتوسط.

القانوني والقائـد الكبير بربروسا [183] .

للأسف لا يعرف الكثير من شباب المسلمين الآن شيئًا عن هذا القائد العظيم (خير الدين بربروس وإخوته)، ولا يعرفون فضل مساعدات (السلطان سليمان القانوني)، ومساندته لخير الدين بربروس، الذي كان يضرب السواحل الإسبانية وأنقذ الله به آلاف المسلمين الأندلسيين من محاكم التفتيش الذين كانوا يتعرضون لأبشع أنواع الإبادة بعد سقوط الأندلس، على يد القساوسة والرهبان والملوك المعروفة بمحاكم التفتيش النصرانية، هذا بعد سقوط الأندلس، فقام بربروسا بأمر من السلطان القانوني في سنة 935هـ. بسبع رحلات، إلى السواحل الإسبانية نقل فيها أكثر من سبعين ألف مسلم أنقذهم من قبضة محاكم التفتيش الإسبانية تم نقلهم إلى المغرب العربي والمشرق الإسلامي.

وأوكل السلطان سليمان القانوني كذلك إلى خير الدين بربروس قيادة الحملات البحرية في كل غرب البحر المتوسط، وقد حاولت إسبانيا أن تقضي مرارًا على أسطول خير الدين لكن النصر كان حليفًا لخير الدين في كل مرة، وكانت القوات النصرانية تخفق وتُهزم أشد الهزائم، وتتكبد خسائر فادحة، وأقصى الهزائم التي تلقاها الإسبان على يد العثمانيين بقيادة بربروس وخلافة سليمان القانوني معركة (بروزا) في سنة 945هـ. وهي التي قضت فيها القوات الإسلامية العثمانية بقيادة بربروسا على القوات الإسبانية النصرانية

---

183 – قائدُ القوّاتِ البحريَّةِ في الدولة العثمانية. اسمُهُ الأصليُّ خضرُ بن يعقوب، وهوَ أحدُ أشهرِ قادةِ الأساطيلِ العثمانيةِ إنْ لمْ يكنْ أشهرَهُم طُرّاً، وأحدُ رموزِ الجهادِ البحريِّ. وتَلَقَّبَ بخيرِ الدينِ، وعُرِفَ في أوروبا بباربا روسا أيْ ذي اللحيةِ الحمراءِ.

وأسرت جميع الجنود النصارى، واستولت على كل ما معهم من أسلحة ومؤنٍ وعتاد.

الجوانب الحضارية في حياة القانوني

لو تكلمنا عن الجوانب الحضارية في حياة السلطان القانوني لا نستطيع حصرها لكثرتها وعراقتها وتعد من أهم الجوانب العظيمة في حياته، ومنها على سبيل المثال ظهور أشهر المهندسين المعماريين على مدار التاريخ الإسلامي، مثل المهندس (سنان باشا) الذي اشترك في الحملات العثمانية واطلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوبه الخاص الفريد، ويعد مسجد سليمان القانوني أو جامع السليمانية في إسطنبول والذي بناه سليمان القانوني سنة 964هـ.

ومن أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي في عهده فن "**المنمنمات**" ويسمونه "**الرسوم العثمانية**" الذي وصل في عهده إلى أوج ازدهاره. كما ازدهر **فن الرسم والخطوط**، وقد لمع في هذا العصر نجم كثير من **الخطاطين** كان من أعظمهم (**حسن أفندي جلبي**) الذي كتب خطوط جامع السليمانية، وهي باقية حتى الآن شاهدة على مدى تقدم العمارة والفن والخط والذي تميزت به العمارة العثمانية في عهد القانوني، وممن لمع نجمهم كذلك (**أحمد بن قرة حصاري**) وهو أستاذ حسن أفندي وله مصحف بخطه وهو يعد من روائع الخط العربي والفن الرفيع.

كما اهتم السلطان سليمان القانوني **بتوسعة كبيرة وهامة في بيت الله الحرام في مكة المكرمة**، ومهد السلطان سليمان القانوني **مهد درب الحاج الشامي**، الطريق من الشام إلى الحج الذي سلكه خط سكك حديد الحجاز فيما بعد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وقامت السلطانة (خرم خاتون) زوجة

السلطان سليمان بإيصال مياه عين زبيدة إلى مكة المكرمة، فأكملت ما بدأته السيدة (زبيدة) وهي زوجة أمير المؤمنين (هارون الرشيد) هي التي أوصلت المياه إلى مكة، فكانت العبادة مصدرًا لتحريك الحضارة في الإسلام، والحج كان بالتأكيد مصدرًا رئيسيًا من محركات الحضارة.

كما ظهر **العلماء الكبار** في جميع العلوم الإسلامية في عهد سليمان القانوني كان في مقدمتهم العلّامة (أبو السعود أفندي) صاحب التفسير المعروف باسم (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). والعلّامة مصطفى كمال باشا صاحب التصانيف الكثيرة والكبيرة والمتنوعة وهو من شيوخ القاضي المفسر أبو السعود. ومن المعروف في حضارات الدول أن هذه الإضافات العلمية تعتبر الركن الثاني للحضارة، وهي سبب خلود الحضارة جنبًا إلى جنب مع البناء العمراني.

الاهتمام بالعلم من سِمَات الحكام الصالحين!

لم يكن الاهتمام بالبناء والعمران وملامح الحضارة فقط هو ما ميز سليمان القانوني بل نجد الاهتمام الكبير **بالناحية العلمية** عنده وذلك لعلمه بأن العلم أهم أسباب رفع مكانة أي دولة وأي مجتمع، وقد وقر في ذهنه أن الأمة الإسلامية هي أمة (اقرأ) على الحقيقة، وأن الجهل سبب للفقر والمرض، وهذا الثلاثي أكبر سبب لهدم أي مجتمع أو أي دولة، فما كان من السلطان سليمان القانوني إلّا أن قام بما يؤهل المجتمع للقراءة، فأنشأ **المكتبة** السليمانية، وكانت من أعظم المكتبات وأكبرها تلك التي جمعت الكتب والمخطوطات في زمانها، حيث جمع فيها أكثر من ثمانين ألف مخطوطة لم يحقق الكثير منها حتى الآن، ووضع – رحمه الله– نواتها الأولى، وليس هذا وفقط، بل أوقف عددًا من المخطوطات على العلماء وطلبة العلم، ونظمها

تنظيمًا رائعًا حتى يتم الاستفادة منها وإعارة الكتب وإرجاعها بطريقة سلسة، وما زالت مخطوطات جامع السليمانية الأم ومدارسها ومكتبتها محفوظة في خزانة السليمانية الخاصة، تقدم فهرسها للباحثين إلى اليوم.

جهاد وتضحية رغم السن والمرض!

ومما هو ثابت عنه رحمه الله أنه لم يترك الجهاد في حياته قط، منذ تولّيه السلطنة وحتى موته، وفي أخريات حياته أصابه مرض خطير جعله لا يتحرك إلا بصعوبة بالغة، فكان- رحمه الله - لا يستطيع أن يركب حصانه بنفسه، لكنه حتى يُشمت أعداءه وخصومه، كان يتحامل على نفسه إظهارًا لقوته أمام أعدائه وخاصة ملوك أوربا، وكان عمره آنذاك 74 سنة أي بلغ من العمر مبلغًا كبيرًا.

وذات معركة مع المجر أعدى أعداء المسلمين آنذاك، وقد أغاروا على أحد ثغور الدولة لعلمهم بمرض الخليفة الشديد، وصل الخليفة وهو في سنة 73 عامًا وكان يُحمل في عربة بالجيش المسلم إلى مدينة "ستوار" المجرية، وكانت من أعظم ما شيده المسيحيون من القلاع في العالم في ذلك الوقت، مشحونة بالبارود والمدافع. فحاصرها حصارًا شديدًا، وقد نصحه الطبيب الخاص بأنه خوفًا عليه لا يمكن له أن يخرج للحرب فهذا المرض (النقرس) الذي بك قد يؤدي إلى موتك، فكان ردّ السلطان على الطبيب ردًا خلده التاريخ بقوله: (إني أحب أن أموت غازيًا في سبيل الله)!

وبالفعل تم حصار المدينة، وبدأ القتال واشتد النزال، وكان من أصعب الحروب التي واجهها المسلمون بسبب متانة الأسوار، واستبسال جنودها وقوة بأسهم في القتال، واستمر القتال والحصار خمسة أشهر كاملة، والفتح صعب، ومما زاد الصعوبة أن المسلمين لم يروا مثل هذا الحصن في كل

فتوحاتهم، وسلطانهم مريض وقد شعر بدنو أجله، فأخذ يدعو بإخلاص وبتضرع إلى الله تعالى يقول من حضره سمعه يقول: "يا رب العالمين، افتح على عبادك المسلمين، وانصرهم وأضرم النار على الكفار أعدائهم" واستجاب الله دعاء السلطان، فأصاب أحد مدافع المسلمين خزانة البارود الذي كان داخل الحصن وانفجر الحصن انفجارًا هائلًا من داخل القلعة، وأخذ الانفجار بجزء من الأسوار وتسبب بهدمها، وفورًا هجم المسلمون على القلعة وفتحت القلعة ورفعت الراية العثمانية على أعلى مكان من القلعة.

ولما وصل خبر الفتح للسلطان سليمان القانوني فرح وحمد الله على هذه النعمة العظيمة، وقال: (الآن طاب الموت) خمس شهور من الحصار، بعدها خرجت روحه إلى بارئها في صفر سنة974هـ.

السلطان والصندوق والقبر!

أثناء تشييع جنازته وجدوا أن السلطان قد أوصى بوضع صندوق كان محتفظًا به ليدفن معه في القبر، فتحيّر القادة والعلماء وظنوا أن هذا الصندوق مملوء بالكنوز والأموال والجواهر، وأخذوا يتكلمون في جواز تنفيذ وصية السلطان أو عدم جواز ذلك، وقالوا لا يجوز إتلاف هذه الأموال حتى ولو كانت خاصة بالسلطان ووضعها تحت التراب بل لا بد أن يستفيد بها المسلمون، وبعد أخذٍ ورد قرروا فتح الصندوق، لكنهم أخذتهم الدهشة والحيرة عندما رأوا أن الصندوق ليس مملوء بالأموال أو ما شابه ذلك، لكنهم وجدوه ممتلئ بفتاوى العلماء والتي كان لا يعمل أي شيء دون فتواهم وهي التي حولها إلى قوانين، فراح القاضي ومفتي الدولة العثمانية الشيخ أبو السعود يبكي قائلًا: "أنقذت نفسك يا سليمان، أي سماء تظلنا وأي أرض

تقلنا إن كنا مخطئين في فتاوينا". وهكذا نجد أنه لم يكتف بالمجد العسكري فقط، بل جمع معه أمجادًا أخرى، فها هو يطلق عليه لقب القانوني، وكذلك حاز لقب سلطان المثقفين ومثقف السلاطين.

هذا السلطان الذي لما علم المسلمون بخبر وفاته عمّهم الحُزن، بينما على الجانب الأوروبي ما فرح النصارى بموت أحد بعد بايزيد الأول ومحمد الفاتح مثل فرحهم بموت السلطان سليمان القانوني الحاكم المجاهد، حتى أنهم جعلوا يوم وفاته عيدًا من أعيادهم، ودقت أجراس الكنائس في أوروبا فرحًا بموته. رحم الله السلطان العثماني البطل سليمان القانوني وجمعنا به مع النبيين والصدقين والشهداء والصالحين في الفردوس الأعلى من الجنة، جزاء ما قدّم من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، ولعن الله من شوّه صورته، وزوّر تاريخ النظيف الناصع. والحمد لله رب العالمين.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلّابُ في ثُنَائِيّاتٍ قَائِمَةَ الدُّرُوس التَّرْبَوِيّة المُسْتَفَادةِ مِنْ الدّرْس

1. في تاريخنا عظماء ومظلومون كثيرون.
2. العمل في سبيل رفعة هذه الأمة شرف كبير لكل إنسان، فاجتهد في مجالك.
3. للجهاد في سبيل الله أشكال كثيرة، وليس له سن محدد، فكن مجاهدًا في عملك لصالح أمتك.

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

أسئلة للاستيعاب

1. لماذا لقب بالقانوني؟ ولماذا سمَّاه أبوه بـ" سليمان"؟
2. ما الصفات التي كان يتمتع بها السلطان سليمان القانوني؟
3. ما الفرق بين السلطان سليمان القانوني وهو شابٌّ والشباب في سنه هذه الأيام؟
4. برأيك، ما دور الآباء نحو الأبناء في أيامنا هذه؟ اضرب أمثلة ناجحة من واقعك.
5. برأيك، ما دور الأبناء نحو الآباء في أيامنا هذه؟ اضرب أمثلة ناجحة من واقعك.
6. برأيك، ما دور الشباب نحو بلدهم وأمتهم في زماننا؟ هات أمثلة ناجحة من واقعك.
7. ما أهمية تعلُّم أكثر من لغة في أيامنا هذه؟
8. كيف يخطط الأب/ المعلم لتربية أبنائه- بحسب ما ورد في هذا الموضوع؟
9. لماذا حاولت بعض بلدان الخلافة العثمانية الخروج عليها أول ولاية القانوني؟
10. تكلم عن جهاد الخليفة سليمان القانوني في كل من أوروبا وإفريقيا وفي آسيا؟
11. كم كانت مساحة الدولة التي تسلمها القانوني؟ وكم بلغت لما تركها؟ وعلام يدلّ؟
12. ماذا تعرف عن القائد الكبير بربروسا، وفتوحاته الإسلامية على السواحل الأندلسية؟

13. ما الجهود التي قام بها القانوني في توسعة بيت الله الحرام؟
14. تكلم عن جهاد القانوني وهو في سن 73 من عمره، موضحا رأيك.
15. هل للمكتبات دور في رقي الأمم؟ وضح ذلك.
16. تكلم عن المكتبة السليمانية من حيث:
- من أنشأها؟ وأين؟ وعدد الكتب والمخطوطات التي كانت فيها؟
17. ماذا عن حكاية السلطان والصندوق والقبر! وما رأيك؟
18. (الآن طاب الموت). من قائل العبارة؟ وما معناها؟ وما مناسبتها؟

وفي الختام نتمثل قول القائل:

كَتبتُ وقد أيقنتُ يومَ كتابتي   بأن يدِي تَفنَى ويَبقَى كِتابُها
فإن كَتَبَتْ خيرًا ستُجزَى بمثلهِ   وإن كَتَبَتْ شرًّا عليّ حسابُها

***

وما مِن كاتبٍ إلا سيَفْنَى   ويُبْقِي الدهرُ ما كَتَبَتْ يَداهُ
فلا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غيرَ شيءٍ   يَسُرُّكَ في القيامةِ أنْ تَراه

***

وإليك أخانا القارئ هذا البيت.

وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلا   فَجَلَّ مَنْ لاَ عَيْبَ فِيه وَعَلَا

والحمد لله على التمام..

وكتبه:

د. عبد الجواد أحمد السيوطي

د. السيد عزت السيد أبوالوفا

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.

1. ابن كثير. كشف الظنون، حاجي خليفة.
2. إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الحافظ أبي القاسم الطبراني، للمنصوري.
3. الأنساب، عبد الكريم السمعاني المروزي.
4. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي.
5. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.
6. تاريخ دمشق. ابن عساكر. تاريخ الرسل والملوك، الطبري.
7. تاريخ دولة آل سلجوق، العماد الأصبهاني.
8. تهذيب الأسماء واللغات، النووي.
9. الدر الثمين في أسماء المصنفين، تاج الدين ابن السَّاعي.
10. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. ابن فرحون اليعمري.
11. السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري د. محمد عبد العظيم أبو النصر.
12. سير أعلام النبلاء للذهبي. البداية والنهاية.
13. الشبكة العنكبوتية. عديد من المواقع التاريخية.
14. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي.
15. طبقات الشافعية لابن الهداية.
16. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة.
17. طبقات الشافعية، تاج الدين السبكي.

18. طبقات الشافعيين، ابن كثير.
19. طبقات الفقهاء الشافعية، أبو عمرو ابن الصلاح.
20. طبقات المفسرين للداوودي، شمس الدين الداوودي.
21. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن المصري.
22. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» عادل نويهض.
23. معجم المؤلفين، رضا كحّالة. الأعلام للزركلي.
24. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي.
25. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الحنفي.
26. هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي.
27. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي.
28. وفيات الأعيان، ابن خلكان.

فهرس الموضوعات